سمكة ظامئة

مسرحيتان

علاء الدين رمضان

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة ل

www.nashiri.net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب

نشر إلكترونيا في أكتوبر 2003

فهرس المحتويات

مسرحية : محمد عطاف (مونودراما الفصل الواحد)

* الإهداء
* مفتتح
* وثيقة خارج النص المسرحي
* محمد عطاف : النص المسرحي

مسرحية : الخروج إلى القلعة (مسرحية شعرية في خمسة مشاهد) :

* المشاهد :
* الطرقات الظامئة .
* ذاكرة الحجب .
* أشعل نيرانك في ..
* جئت على قدر .
* سأجرب أغنية أخرى .

قراءات في المجموعة المسرحية (سمكة ظامئة)

* أغنيات للحنين والمقاومة
بقلم الكاتب محمد جبريل .
* مسرحية محمد عطاف .. قراءة مسرحية
بقلم الكاتبة المغربية فاطمة الزهراء التوزاني

مسرحية

محمد عطاف

" مونودراما الفصل الواحد "
(تجربة واقعية)

تأليف

علاء الدين رمضان

الإهداء

إلى زوجتي ..

إلى أهلي وأصدقائي ..

.. .. إلى ابنتي " رنيم "

إلى سلمان الزموري ..

ومحمد عطاف ..

.. ..

شموع المودة الوضاءة

شموس في الروح .. طالعة ، أبداً .. لا تغيب

عـــلاء الدين

ساحل طهطا في : 2001/10/15م

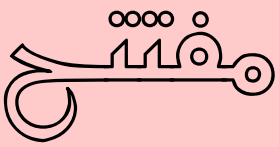

لمحمد عطاف

منزلة عظيمة في النفس ،

لكن لجرحه وانكسار أحلامه

أخدود هواجس

اعتمرت منعطف الروح ..

لمحمد عطاف

تجربة أكبر من أن تتقوقع في ذات .. ،

أو يعبر عنها هو ،

إنها انهيار الحلم الوحيد ،

الذي رفع من فوقه

سراج العمر ..

علاء الدين

" وثيقة "

(خارج النص المسرحي)

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل أن أجن
قبل أن أصبح نزيل مستشفى الأمراض النفسية
أكتب إليك هذا الخطاب
أسعد لحظة هي التي أجيئك فيها أيها الشاعر العزيز ـ
وما كنت لأتهاون في الحضور في بريدك بشكل منتظم ، ضمن الصباحات المتفتحة ،
أو ضمن ضحى وضاءة ودافئة ..
ما كنت لأتهاون لولا تفاقم الأحوال
أحالتني الظروف على ما يشبه الحمق ، أو كان حمقاً فعلاً
الصراحة .. ، ولا حياء في الكتابة :
انعدمت فرص النجاح في الحياة ، استحالت إمكانات التعويض عما فات ،
توالت ضربات الإخفاق من جميع الجهات ،
تقلص نطاق المحاولة ، واستبدت بي حقيقة واحدة /
انتهيت !
في خليط من المعنويات المشلولة والنفسية المتدهورة
انتظرت أن أسكت حياتياً ، أنهار ، أرتاح ..
آخر النار رماد ، وعمق الصدمة إرهاق ..
فصرت لا أفكر إلا لكي أخطئ ،
ولا أتذكر إلا لكي أتحسر وأبكي ،
ولا أحلم نهائياً
رحلة العمر مجموعة لم ترص خطوة يتيمة تصلح للاعتزاز ،
والتجربة خارج الوطن ولدت فراغاً فظيعاً ،
فأكدت حالة العقم فيَّ
الدراسة قناع أكثر مما هي صدق ، فتصورني بهلواناً فوق الأرض ،
خارج الدور .. ،
في خضم مأساتي أجدني مدمناً على المنومات والمهدئات والمسكنات والكحوليات ، بشكل انتحاري .. ..
صفه مني هروباً ، أو ضعفاً ، أو استسلاماً ، أو هذه الأشياء مجموعة ، لكني حقاً في حاجة ماسة لأن أغيب ولو للحظة .. ،

أعاني الأرق ، أصيح :
ـ ألا أغف عني يا قدري !
لا خجل في حكي هذا الواقع الذي لا يطاق ، ويشفع لي عندك ـ أيها الشاعر العزيز ـ أني بعض كاتب .. ،
حاسبت نفسي بقسوة .. ، فأحسستني مظلوماً
وبالمقابل اعترفت أني عجزت عن تحقيق أبسط الأحلام ..
أذكرك بأن أحلامي كانت عادية وجميلة ، وكانت تدور كلها حول الخبز والطمأنينة ، وكنت أتوضأ وأصلي
وأدعو ربي أن يستجيب لي في أحلامي ـ طموحاتي ..و
فكرت في أن أعود إلى بلادي ، إلى مجدي المتواضع العادي .. . ..
وبقدر ما تبدو المسألة سهلة ، بقدر ما أهدتني مرات إلى الجنون ، فكل يوم يمر ، يعمق تدهوري وضياعي
و أنا ما عدت صبوراً لحد الكتابة ،
لأنهار .. ، لا
فقط الليلة التي نمت فيها مفتوح العينين
والفجر الذي ينسج جزءاً كالحاً من حياة رجل ممتاز تحطم ،
رأيت الفجر ولم أر ضوءه ،
أنا وُلدتُ .. !
هذا صحيح ..
سأموت عند أجلي !
هذا كذلك صحيح ..
لكني لم أتمتع بعد بحياتي ،
قبل أن أجن ..
قبل أن أصبح نزيل مستشفى الأمراض النفسية ..
كتبت لك هذا الخطاب
أتمنى أن تكون بخير

المخلص

محمد عطاف

هولندا 20 من أكتوبر 1994م .

محمد عطاف

** (النص المسرحي) **

المكان : غرفة بمستشفى بينيكوم للأمراض النفسية والعصبية ، بهولندا .
الزمان : زمن نسكنه ويسكن همنا ، وهو متاح للتكرار دائماً مادامت هناك أحلام .. ، وطموحات .. ، وغربة .. ، تترقب .
الشخصيات : محمد عطاف .. (شخصية واحدة ووحيدة) .

*

محمد عطاف

نص كخارطة الأسى طلعت به روح التشتت والنحيب .. وطن غنى له حتفاً وأسلمه الجراح ؛ محمد عطاف النص والتجربة محمد عطاف الصديق الصدوق المجروح بطعنة نجلاء في قلب الوطن وما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم في الهوى ثم اهتدى بضلاله .

ينكشف الستار عن واجهة مسرحية، أو ستار آخر مرسوم بدقة، رسومه عبارة عن إطار كبير من الزخرفة الإسلامية ذات الطابع الهندسي المعشق بالزخرفة النباتية ، في منتصفها مستطيل على شكل مشربية ، يُسمع صوت ديك يصيح ، ثم صوت خافت لمؤذن يؤذن من بعيد ، يتلوه مسمع من الموسيقا المشهورة المميزة للأذان في مصر ، ثم تتحول إلى موسيقا هادئة مناسبة ، تتحول بدورها إلى مقطوعة فلكلورية مغربية من المقامات الفاسية القديمة ، معزوفة على آلتي العود والطنبورة ، ينبعث في أرجاء المسرح ضباب كثيف ، وتتراقص في جنباته الأضواء الملونة ، ثم تتحول الموسيقا إلى موسيقا صاخبة ، وأقترح أن تكون مقطوعة معبرة من (روك آند رول) ، وترتفع الواجهة المسرحية أو الستار شيئاً فشيئاً حتى تغيب معالمه كاملة في سقف المسرح ، فيتداخل مع الموسيقا سيل جارف من ضوضاء الحضارة وتلوثها السمعي ، وتخفت الموسيقا شيئاً فشيئاً حتى تتوقف تماماً وتستمر الأصوات بعدها ، سيارات تنطلق بسرعة ، أصوات ماكينات ، أزيز طائرات، هدير مصانع ، خرير ماء ، إذاعات ، تكات إلكترونية ، صفير موجي ، رقم على آلة كاتبة ، رنين هواتف .. .. ..

تخفت الإنارة تماماً حتى تصل إلى حد الإظلام ؛ ثم تنار بقعتا ضوء ؛ واحدة عن يمين المسرح ، وأخرى عن يساره ، وهما متزامنتان في الحركة ، الأولى تتابع دخول شاب متوسط الطول والجسم والوسامة، يبدو عليه التوسط في كل شيء ، حتى حركته، يسير جاداً نحو منتصف المسرح ، وبعد أن يتجاوزه بقليل أقترح استخدام حركة (محلك سر) العسكرية .

والبقعة الضوئية الأخرى تتابع سحب لوحات خلفية إلى الواجهة اليمنى للمسرح وهي تتحرك على الفراغ لتشغل خلفية المسرح تماماً ، والخلفية تبدأ بأهم المعالم المميزة لهولندا وبخاصة طواحين الهواء التي تستخدم تيمة في كل المناظر ؛ لكنها تخرج من الناحية الأخرى وتحل محلها الخلفية الدائمة الممثلة للمشهد المسرحي المقترح ، مع ملاحظة أن تَقَدُّم الخلفية يتناسب عكسياً مع الصوت الذي يخفت حتى ينعدم .

	(إظـــــلام) (إنـــــارة)
	عند الإنارة يظهر المشهد المسرحي كاملاً ، والمشهد المقترح غرفة في مستشفى بنيكوم للأمراض النفسية والعصبية بهولندا ، نافذة الغرفة تطل على غابة رائعة ، أشجارها ذات خضرة داكنة تتبدى من خلفها في وضوح قمم ثلجية ناصعة البياض ، وغيوم كثيفة في الأفق البعيد ؛ وبالغرفة سرير صغير في أقصى اليسار ، يسمح بالمرور من حوله في كل الاتجاهات ، وبجانبه منضدة مربعة فوقها جهازا فاكس وهاتف ، وتتسع لبعض الأنواع من زجاجات وعلب والأدوية ؛ فوق الفراش يتمدد (محمد عطاف) بوجه متوسط الوسامة ، تغلفة مسحة القلق والاكتئاب . يدق جرس الهاتف مَـرَّةً فيتململ فوق فراشه ، يدق مَـرَّةً ثانية ، فيعتدل قليلاً .. يتفرس فيما حوله ، وكأنه يرى المكان للمرة الأولى .. ثم يعتدل مذعوراً ، يتساءل في اندهاش وعجب .. .. ..
عطاف :	ما هذا الليل .. ؟ ما الذي أتى بي إلى هنا .. ؟
	(يتكئ بظهره إلى وسادة كبيرة معدة للاتكاء من خلفه؛ يدق جرس الهاتف ثالثة ، ، ينظر بعد تفرسه في أجزاء المكان إلى السقف والسماوات ، ويقول باعتراف سمح ، كأنه يفرغ كأس الذاكرة من رعشة العجب) :
عطاف :	آهـ ..؛ تذكرتُ الآن، كنت سأنزف من جرح الكآبة، أسقط قطرة على رصيف الليل، أبلسم أوجاعي بمواسم "مليكة" حين تحل بأرض الذاكرة قبل أن تندفع سيارة الشرطة نحوي.. نحو شبح متهرئ في ليل بائس ..، فهربت .. .. ..
صوته :	لماذا هربتَ .. ؟! .
عطاف :	إنني مواطن خارج محيطه ، بلا شرعية .. ، أرفرف من خارج السرب ، فيتربص القناصون بي ..
صوته :	.. .. ، ولكن لماذا هربت ؟
عطاف :	الهروب والبقاء كلاهما سيئٌ ..
صوته :	لكن الهروب يقتل كلَّ بوادر النجاة .. ! والأمل .. !
عطاف :	والبقاء كذلك .. ، سيهشم آخر أطياف الحلم ..
صوته :	فاخترت الهرب ..
عطاف :	نعم . . ، كي أظل طليقاً في براح هذا السجن الضيق .. ، قفزتُ صوب القنطرة ، نحو قلب المدينة، اخترقتُ دربـاً طويلاً ضيقاً ، كنت أدرك أن السيارة لن تتمكن من اختراقه ، لكن الطريق لم يعق أطيافهم عن ملاحقتي ، في داخلي المشرد ، كنت أحس بهم يطاردون دمي ، وأشعر بهم في شراييني ..
	(يدق جرس الهاتف برنين حاد متتابع ثلاث مرات متتاليات ، فيبتسم ابتسامة مشبعة بالذعر والمرارة ، ثم يعود لتوتره ، ويقول بلا مبالاة)
عطاف :	من سيذكرني الآن ؟
	(تستغرقه لحظات من الصمت والتفكير)
عطاف :	هل نسي صديقي ـ الوحيد هنا ـ شيئاً لم يذكره لي ، عندما هاتفني قبل دقائق

	؟ .. ؛ لا .. قلت له سأنام .. ، قلت له إني أشعر بالنوم .. ، أيام مرت ما غمض الجفن قليلاً
	(يدق الهاتف ، فيصرخ عطاف) ...
عطاف :	مـــن .. ؟؟ مـــن .. ؟؟ الليل هنا شيطان أخرس يتحفز ..
	(يدق الهاتف برنين متلاحق ، فيمدُّ يده للهاتف، ويمسك بالسماعة..، يتساءل):
عطاف :	مـن .. ؟؟
	يأتيه صوته متسائلاً
صـوته :	محمد عطاف ؟؟!
	يجـيب بانفعال :
عطاف :	نعم .. !! ؛ من أنت ؟
صـوته :	أنا .. محمد عطاف !!
	يسمع رنيناً عالياً للهاتف ، بينما السماعة لما تزل في يده ، ثم يضعها ذاهلاً ، شارداً تماماً في شبه غيبوبة ، كأن شيئاً ما يشده بلا رحمة إلى لا شيء .. ، يجول ببصره في أرجاء المكان ، ويقول كأنه حالم يهذي :
عطاف :	محمد .. عطـ .. ـ .. ـاف .. ..
	(يبتسم ، ثم يقول بشيء من الانتباه :)
عطاف :	محمد عطاف . من ؟ ..
	(يصـــرخ ..)
عطاف :	محمد عطاف !. من يا مليكةُ ..؟ أنا نطفة عربية في رحم الأرض المنخفضة ..
	(يتابع كلامه بينما هو ينزل من فراشه فيكبو ، ويتجول متعباً داخل الغرفة ، ثم يتجه صوب النافذة في خلفية المسرح)
عطاف :	ضلوعه مغروسة في جنون الألم والانتباه لكل شيء من حوله ..
	(يلف حول نفسه وهو في طريقه للنافذة ، ويتابع حديثه ..)
عطاف :	يومنا هنا يبدأ بالاندماج داخل هذا المجتمع ، وننهيه بالعجز المبين ، وبينهما مشكلة أساسية ، هي التي جعلتنا تائهين في إطار منظومة محكمة من الدقة والانضباط .. ، مشكلة رئيسة ؛ يصنعها لنا نظام الاقتصاد العالمي .. إنه هو الذي يهيننا ويظلمنا .. أنا لست مصيباً في كل ما أقوله لكم، وما سأقوله .. ، فقط حالة من الاعتراف السمح هي التي تضعني هكذا .. آهـ (مليكةُ) .. أنت روح مشدوخة ، نصفها لامع كانطلاق البرق ، ونصفها منطفئ .. ، مختنق كأحلام الضعفاء في العالم الثالث .. ، فأحلام الضعفاء طريق قوي من لازورد ، مملوء بالسوسن في آخره ..، والكل يهرول نحو الآخِر ؛ كي يجني السوسن..؛ لا يعبأ بالشوك المغروس من بطن القدم إلى الحلقوم ..
صـوته :	الشوكُ في العالم الثالث .. وسراب الهدف أيضاً ..، أما في الأرض المنخفضة فالزهر بلا شوك والمتعة دانية تهصرها الرغبة في الأحداق ..
عطاف :	هكذا سمعنا كثيراً عن زهر الأرض المنخفضة والعربات الفارهة الحمراء ، ونساء أمستردام .. ، أضواء الليل الممزوجة بمياه النهر ..
	(يغير من نبرات صوته ؛ ويستطرد قائلاً :)

عطاف :	أنت تماماً يا عطاف .. ، أول من فرض عليه الحج إلى الأرض المنخفضة .. فيها سحر الفن سيملي على روحك الصافية مزيداً من رقة المشاعر والأحاسيس الجياشة ؛ وستكون أديباً متميزاً ، حينئذٍ يفخر أهل مليكة بمصاهرتك ..
	(يعود إلى نبرات صوته الأولى) :
عطاف :	لم تكن مليكة حينئذ وحدها السبب ، بل كانت هناك أم مسكينة تنتظر معيناً تتكيء على مِئْسَأتِهِ حتى تعبر بالعائلة إلى شط النور الخافت ؛ تخرجهم من قبو الظلمات .. ، وأنا ..
	(يدق بقبضته على صدره مرات ..)
عطاف :	وأنا..، أنا..،كم تُقْتُ لشم ورود الأرض المنخفضة ..، فَظَلْتُ أجري..، وتجري العواصم خلفي، وتسلمني الخطى لطريق يحترق من تحتي ..، وأجري ..، تلوح لي عربة حمراء فارهة في الأفق، بداخلها طيف مليكة، في أبهى تجليات فتنتها.. وأجري .. وأم تنتظر أولى الحوالات لتداوي بها المرض الذي انغمس في فتوتها .. ، وأجري .. ، وأب ينتظر الحوالة التالية ليصلح بها سقف البيت الذي يبكي صقيع أهله في الشتاء .. وأجري .. وأخت صغيرة ما زالت على عتبات الحلم تنتظر واقعاً رفيقاً ، يمد يده إليها بملابس أنيقة في العيد القادم .. أجري .. أجري .. أجري فوق طريق ناعم يحترق من تحتي .. أجري .. ، وما ثم سوى قدمي التي تحترق .. فاسمحوا لي أن أسقط قبل الحوالة الأولى ؛ التي تأخرت سنوات طوالاً .. كنت أنتظر فيها .. ، في كل مساء منها ..
	(يشير إلى ظلمة الليل خارج النافذة)
عطاف :	.. أن يأتي الحلم ، .. ضمن صباحات متفتحة .. ، أو ضمن ضحى وضاء ودفيء .. ، أول حلم لي هو الانعتاق من ربقة أحزان الوطن .. إذ يُلوِّثنا بالعجز والانحسار .. ؛ تذرعت بقناع الدراسة وأتيت .. ، نعم
	(ثم يقول وكأنه يواجه نفسه :)
عطاف :	كانت أملاً .. ، كانت قناعاً .. ؛ كانت أملاً في أن أصبح من عتقاء العلم .. ، أمر إلى الإنسانية من فوق قنطرة العقل .. ، لكنهم تآمروا عليَّ
	(ثم يصمت وكأنه أخطأ)
عطاف :	علينا .. ..
	يصمت ثانية ، ثم يقول مبرراً :
عطاف :	لكنهم امتهنوا كل ما وصلت إليه من درجات العلم في بلدي .. قللوا من شأنه، وحجتهم أن مناهج العالم الثالث قديمة وبالية .. ، صارت كقفاز رديء ألقاه

	السادة من العالم الأول إلى سلة المهملات
	يغير من نبرة صوته ..
عطاف :	يا عطاف .. ، بلادكم لم تُقِمْ معنا اتفاقية فعالة فيما يختص بمعادلة الشهادات والخبرات العلمية
	يعود لصوته ..
عطاف :	مصروفات الدراسة هنا باهظة،والمساعدة غير موجودة إطلاقاً،وأنا غير مسموح لي بالعمل في الأراضي المنخفضة..،ويجب عليَّ أن أبدأ التعلم من جديد
	يغير من نبرة صوته
عطاف :	قبل الالتحاق بأية شعبة دراسية ؛ فاللغة أولاً يا عطاف
	يرجع لطبيعته الصوتية ثانية
عطاف :	وعام يمضي في إثر عام .. ، يحوِّلُ تلك الرحلة إلى مغامرة عمر يضيع
	يلف في أنحاء الغرفة ..، ثم يجلس على مقعد قريب منه في الناحية الأخرى للمسرح ..
عطاف :	الصراحة .. إن فرص النجاح انعدمت تماماً في هذا العمر المتسرب ، بينما إمكانات التعويض عمَّا فات صارت مستحيلة .. ، والإخفاق يواصل ضرباته بعنف وصلافة في كل جهاتي .. ، حتى تَقَلَّصَتْ داخلي رغبةُ الطموح والتجاوز ، واستبدت بي حقيقة وحيدة
	(يقف ويتجه صوب النافذة ، وينظر منها إلى الخارج ، بينما يقول مع هواء تنهيدة عظيمة مكدودة ..)
عطاف :	إني انتهيت
	(يتجه متهالكاً إلى فراشه .. ، يجلس على طرفه القريب من النافذة ، وجهه ناحية النافذة وظهره للجمهور ..)
عطاف :	في هذا الخليط المتشابك ومن بين ركام الروح المحطمة والجسد العاجز .. ، انتظرت : أن أسكت حياتياً .. ، أن أنهار .. ، أرتاح ..
	(يتمدد بجسده على السرير ، ثم يُحَلِّقُ نظراته في سماء الغرفة ..)
عطاف :	صار الأمل الآن .. ، كل الأمل .. أن أرتاح قليلاً
	تخفت الإضاءة جداً ، ويُسْمَعُ رنين الهاتف مرة واحدة ، فيعتدل من فوق الفراش صارخاً .. ، يتزامن صراخه مع عودة الإضاءة لحالتها الطبعية
عطاف :	ماذا لو صمت الهاتف .. ؟
	(يدق الهاتف خمس مرات متتاليات ، ثم يصمت ، يحاول أن يسد أذنيه بيديه ، ويدور في الغرفة .. ، يصرخ ..)
عطاف :	.. .. .. ؛ ينعق كغراب ، ماذا لو صمت قليلاً هذا الهاتف .. ، ليؤذن ديك البلدة مرات خمس .. ، أذِّن لي خمساً حتى يعتدل الطالع .. ، أذن لي خمساً كي أسكن برجاً محظوظاً ..
صوته :	.. .. .. أي طالع ؟ .. وأي ديك .. ؟ ..
عطاف :	(بنبرة المنتبه من غفوة) تلك الأفكار القديمة ما زالت تعتمر الروح ..، نجحت في أن تستعمرنا ، وفشلت في تجسيد الحلم ، أو حتى تهيئة فراش للأحلام ..

	(يمسح بيده فوق الفراش .. ، ثم يقوم بتؤدة للتجول داخل الغرفة)
عطاف :	الآن تصفعني الأحلام .. ، تصرخ بي أحلامي .. ، الواقع .. ، الواقع .. ، ثم احْلُمْ كيف تشاء .. ، الواقع .. ، ثم احلُم كيف تشاء .. ..
	(يتوجع بعنف ..)
عطاف :	أية فانتازيا كنت أريد .. ؟ ما كنت أريد سوى أحلام عادية .. ، وجميلة .. ؛ كلها تدور حول الخبز والطمأنينة .. ، ليس أكثر .. ، تلك طموحاتي .. ، ما كانت تحوجني للصعود إلى الأرض المنخفضة .. ، لو أني من غير العالم الثالث .. ، لو أني لست ضعيفاً .. يحلم . . ، من أبناء الدول النائمة على أذنيها .. ، لا يشغلها غير الحلم .. ، لحى سوداء ورأس فارغ : كون هذا الهيكل .. ، ثم اغمض عينيك .. ، أنت الآن أمير الناس .. ، تخيل .. ، وكل الناس رعاع دونك .. تخيل .. ، لا تقرأ .. لا تصنع .. لا تصلح .. كن إمعة .. وتخيل .. ..
	(يضحك ، ويدور .. ، يدور .. ، يدور ..)
عطاف :	ربما الأمر كان بحاجة إلى من هم مثلي ، ليصدوا مدد الطوفان .. ، وأنا في ظل هواني الذي يَتَلَبَّسُنِي هنا .. ، قررت العودة للوطن .. ، إلى مجدي المتواضع ..؛ لأنير شموعاً للبسطاء على قرعات الطرقات الموحشة وفي الميادين الحالكة ..، لكن العائلة رفضت بشدة ، سلبتني آخر أمل لي في المواجهة .. ، بل أشعروني بأن ما أراه على طوار الذات ليس سوى رماد آخر أسطول هُيِّئَ للرجوع فأحرقته عاصفة التشبث بالحلم الضائع ... ، أنا هاجرت لأبني لغدي أسطولاً يمخر عباب العجز وظلمات الفقر ، لكن الغد يمر في إثر الغد ، وأنا أشعر يقيناً بأن في انخطاف كل غد .. ، يعمق تدهوري .. ، وضياعي
صوته :	لذلك أردت أن تستريح .. .. ..
عطاف :	نعم .. ، أردت أن أرتاح قليلاً .. ، قبل أن أواصل مسيرة مرهقة إلى باحة الجنون .. ، أظن أني من حقي أن أستريح .. ، ولو بهذا الأسلوب
	(يجلس على المقعد ، عاقداً يديه خلف رأسه .. ، وباسطاً ساقيه أمامه .. ، وبعد برهة يستأنف حديثه بهدوء شديد .. ، قد يطفر منه شبح الانفعال .. ، لكنه يظل على نمطه الهادئ)
عطاف :	إن أخوف ما أخافه اثنتان .. ، طول الأمل .. ، واتباع الهوى .. ؛ فأنا واحد ممن واقعهم خوفك يا نبي .. ، فالأمل كماء ملح .. تغري رشفاته بالرواء ؛ لكنه يزيد الصادي عطشاً ، ويغرس في الحلق الظمأ ، إنه خطوة على طريق الرغبة والطموح .. ، خطوة سحرية واحدة .. ، بعدها يتحقق الرجاء ؛ ظننت ذلك .. ، فَخَطْوَتُها ، كما يحدث عادة ، .. وخطوة إثر خطوة .. ، ولا شيء يحدث إطلاقاً .. ، فقط أمنيات جديدة .. ، وأمنيات أخرى جديدة .. ، وأمنيات مؤجلة .. ، وأمنيات مُعادة .. ، حتى تتكدس الأمانيُّ ، تحدوها رغبة عجوز .. ، أمل إضافي في تحقيق الهدف .. ، ثم أمنية لاحقة في تحقيق أمنية واحدة .. ، أمنية أولى .. ، ويجرنا الهوى ، وتتقاذفنا الأهواء ، والطريق يطول .. ، والخطى متلاحقة .. ، لا يخالطها سوى صوت اللهاث والألم ، ويظللها الإخفاق

	والمهانة .. ، الأمر يبدأ هكذا .. ، دائماً يبدأ بالحلم .. ، ويستطيل .. ، كل منجزاتنا تبدأ بالحلم أو المصادفة .. أنا وحدي حلمت كثيراً .. كثيراً ، حتى دميت روحي .. ، كانت أحلامي معقولة ، فأبى الوطن عليَّ .. ، وحلمت .. ، وقد ساقني الحلم هذه المرة إلى أرض أخرى للأحلام .. ..
	(تُسمعُ تكات جهاز الفاكس ، فيقف ويتجه صوب الجهاز .. ، يتابع بعينيه الرسالة التي يستقبلها..، كلمة .. كلمة ؛ بينما يتابع في الوقت نفسه حديثه إلى أن ينتهي الفاكس من طبع الرسالة .. ..)
عطاف :	كثيرة مهاجري التي حلمت بها ، وقد حلمت بأوطان أخرى .. ..
	(يمسك برسالة الفاكس .. ، ويبتسم بمرارة .. .. ..)
عطاف :	نعم .. ، كانت هناك أوطان أخرى للحلم ، لا تشترط علينا الانغماس في المهانة قبل أن تسلب منا مشروعية الابتسام والتأمل ..
	(يلوح في الهواء بالرسالة التي في يده)
عطاف :	.. لكنها الحياة .. ، تدور فوق رؤوسنا ، تدور الحياة كأساً في إثر كأس .. ، وكلها مُثْرَعَة بشقاءٍ مُرٍّ ..
	(يهمس ..)
عطاف :	الوطن .. ، كم حلمت به ، بالعودة إليه ، حلمت بأن أرى فضاءاته التي تدفق في أرجائها الخير والمحبة ..، وانبنت فيه روايات كالقصائد وأشعار كالكواكب المحلقة ، وتاريخ كأوصافه كل حين .. ، وأنا أحب هذه جميعاً : الكتابة والحلم ، لكن الحلم التهمني عندما عجزت كل نظريات القيم عن تقديم معونة مناسبة لصياغة أفكاري ومعتقداتي وطموحي .. ، لصياغة قيمتي .. ، حلمي !! .. فتبدد حلم اليقين الذي أستحوزه .. ، وأوجهه إلى حلم اللا يقين .. ؛ التجول في تيه العجز الذي يسوقني إلى التبدد والانصهار ..!!.
	(يتجول في الغرفة بشكل مضطرب يوحي بالتشتت ، يمسك بالرسالة بين عينيه ، ثم يمد بها يديه إلى أقصى امتدادهما أمامه .. ، يعيدها إلى موضع معقول أمام عينيه ، ثم يطبقها ويضعها في جيبه) .
عطاف :	مشكلتي أنني أقرأ الفلسفة طبقاً لمناهج العالم الثالث .. ، المتاحة .. ، ذاك الذي لا تتجاوز مناهجه وثقافات علومه ، الآن ، نفايات العالم المتقدم نحو الجوهر .. ، إنهم يقرأون ويدرسون علوماً ومعارف أخرى .. ، بينما أنا كنت أسير عجزنا .. أقتات ما ألقاه من بقايا في سلة مهملات العالم والعلم ، حتى أصْلُبَ طولي أمامهم ، لكنني تأقلمت مع انحناء نبش السلال الذي صار مهمة قومية ، حتى تقوس ظهري ، وتعودت الجوع مع الانحناء ، فأفكارنا ما زالت تفصل بين عالم الحق وعالم الواقع .. ، إن الأمر إلى هنا آمن كذلك .. ، لكني علمتُ .. ، علمتُ أن الأمن الحقيقي إنما هو في صياغة عالم واحد، مزيج من الكيان والظل..؛ النص والدلالة.. ، المظهر والجوهر ..، السمو والواقع..، عن طريق السير في تيار العلم والصناعات التي تحسن الأحوال .. ..
	(يخرج الرسالة من جيبه يبسطها أمام عينيه .. ، وتستغرقه القراءة للحظات .. ، ثم يقرأ منها بصوت عالٍ ، مع ملاحظة أن يظل حديثه متصلاً .. ، مع تغير الإنارة التي تتبدل تبعاً للموقف ، أو الحالة النفسية للبطل ..)
عطاف :	لا حيلة لنا في إرجاع وضع تقلص منذ قرون .. ..

	إضاءة خافتة جداً .. ، بينما تسلط عليه بقعة ضوء ضيقة .. ..
عطاف :	نحن وإن كنا نستحق أن نكون مصدر الإنارة .. .. ..
	(تتسع بقعة الضوء ثم تتعدد)
عطاف :	إلا أننا غير مسئولين عن الانطفاء .. ..
	إظلام تام .. ، ثم إنارة خافتة جداً وتسلط عليه بقعة ضوء
عطاف :	وحتى ننير .. سيمضي جيلنا منطفئاً .. ..
	(إظـــــــــــلام)
عطاف :	يتخلق الضوء في أحشائه لأجيال أخرى قادمة ..
	(ضوء خافت .. ، ثم بقعة ضوء ..)
عطاف :	أي إننا سنظل منطفئين حتى نمضي .. ، الفرق الوحيد .. / السؤال .. ، أن نخصب الحلم في رحم الأرض .. / الوطن .. ، ثم نشعل جذوة الضوء
	(إضاءة كاملة ..)
عطاف :	أم نمد الظلام إلى أعماق الروح كأسلافنا من بعيد ..
	(تقل الإضاءة تدريجياً حتى تصل إلى الإظلام التام)
عطاف :	لذلك عد إلى لسانك .. ، لا يهم أن ترجع إلى أرضك ، فكل الأرض لكل الناس ، فقط عد إلى لسانك ..
صوته :	عد يا محمد عطاف .. عد ..
	(ينتشر الضوء بينما هو يتجه إلى فراشه ، يقف إلى جانبه ، يضع يده عليه ، ثم يجلس متهالكاً بالقرب من المنضدة ..)
صوته :	عد .. ؛ ستجد من يبكي طويلاً لو تأوهت من ألم عابر .. ، عد .. عد لزمان يفرش وروده في ردهات قلوبنا ، ويطلق فراشاته الملونة في براح عيوننا .. ، عد .. عد .. عد لنا ..
	صـــــمـــــت
عطاف :	الوطن .. .. ..
	(يطبق الرسالة ويضعها على المنضدة التي يجلس بالقرب منها ، ينظر صوب النافذة، يبدو الليل أكثر ظلمة في الخارج عما كان عليه ، يصرخ .. ، ويُستَحْسَنُ إيقاف أجهزة الصوت عن العمل تماماً ، وتستثمر هنا قوة صوت الممثل) .
عطاف :	لكن الظلام كثيف من حولي .. .. ..
	(إظلام تام ، ويسمع رنين الهاتف من خلال أجهزة مكبرات الصوت التي تتوقف فقط عندما يتكلم الممثل ، وتعود الإضاءة تدريجياً ..)
عطاف :	وغصة تعتمر حلقي .. ، تجثو على صدري ..
	(رنين .. .. ..)
عطاف :	ملل يترقب أنفاسي .. .. ..
	(رنين .. .. ..)
عطاف :	وتوتر يسكن بقايا الحطام فيَّ .. .. ..
	(رنين طويل .. .. ..)

عطاف :	كم آمل لو أصرخ فيعلو صوتي .. .. ..
	(رنين .. .. ..)
عطاف :	أصرخ فيسمعني العالم .. ، كل العالم .. ..
	(رنين .. .. ..)
عطاف :	أحب الناس جميعاً ..
	رنين..،ثم إضاءة حالمة ..، وموسيقا خفيفة..،ويعاد استخدام مكبرات الصوت للمثل الذي يخفض صوته ويتحدث بحميمية دافئة..، ويتم ذلك كله تدريجياً ..
عطاف :	وأسمع همسات صدورهم .. .. ..
	(تسمع أصوات بلابل مغردة وعصافير تسقسق .. ..)
عطاف :	وخلجات أرواحهم .. .. ..
	(يسمع صوت ناي حزين .. للحظات ، بعدها يعود توقف أجهزة مكبرات الصوت ، ويترك الممثل للأداء الحر ، متكئاً على صوته المجرد ..)
عطاف :	لكنَّ أحداً لا يسمعني .. .. ..
	(رنين عالٍ .. .. ..)
عطاف :	أنا هربت إلى الحلم ، حتى أجد من يسمعني .. ، فالحلم ذاكرة بلا أرض ، الحلم يحلو في الوطن .. ، فقط ..
	(رنين .. .. ..)
عطاف :	وطن للروح ..
	(يهدأ تماماً ..)
عطاف :	أريد أن أصرخ .. ..
	(يصرخ صرخة تنفجر من خلال مكبرات الصوت التي تعمل متزامنة مع صراخه ..)
عطاف :	وطني .. ، خذني .. ، واحذر أن أصرخ ألماً .. ، رَبِّتْ بحنان فوق كتفي المقهور ، فقد حمل الألم طويلاً..، إني مجروح الروح .. ، فضمد جرحي بعطر أنفاسك .. ، حنِّط كل الجروح واقبرها بعيداً
	(يعود إلى انكساره ، فيقول بنبرات حزينة : ..)
عطاف :	لكن الظلام كثيف من حولي .. ، كثيف داخلي ..
	(يخفت الضوء أثناء كلامه حتى يصل إلى درجة الإظلام ، ثم يجسد الضوء المرتعش حالة العجز والدوار التي يقع عطاف تحت تأثيرها ، ثم يعود الضوء إلى وضع الإنارة العادية ، حسب نمطها في العرض المسرحي ..)
عطاف :	أشعر بالعجز والدوار .. ، العجز حتى عن وأد الحلم الماكر الذي التهم كل الأحلام داخلي ، ثم تبدد وتركني بلا حلم .. .. .. آهـ .. .. ، لو ينقشع هذا الظلام .. .. ..
	(رنين .. .. ..)
عطاف :	ويكف الهاتف عن رنينه الذي يمخر عباب الرأس ..
	(قرعات متتالية على باب خشبي .. ..)
عطاف :	.. .. .. ، تلك القرعات الكثيفة على باب الجرح ، توجز الألم .. ..
	(ينطلق ضوء أحمر خاطفاً كالبرق ، أشبه بالفلاش ..)

عطاف :	في ومضة كالموات والصاعقة ؛ .. حينما تصحو الأرض المنخفضة : سأحتقرها .. ، وأذهب صاعداً إلى وطني .. من جديد ..
	(صوت صياح الديك مرة واحدة ..)
عطاف :	سأعلن أن ثمة أحلاماً أخرى تنتظرني كي أحققها .. ، أساعدها على الخروج إلى حيز النور والشمس ، أبني بها لبنة في صرح وطني أنا .. ، أكبر .. فنكبر نحن .. ، كفانا .. لقد كبرتم واستيقظتم على أصوات صحونا نحن ..
	(يصيح الديك ..)
عطاف :	أنا فنان يرسم المحبة بالمحبة ، لن أترككم في دناءة الأرض المنخفضة تجبرون محبتي على رسم ملامح الألم بالحقد والهوان
	(يصيح الديك ..)
عطاف :	سألف في مرافئ لساني، أختار أيها يستطيع أن يحقق لي حلماً..، ثم أنثره على وجوه مرافئنا زهوراً فواحة بالحنين والرجاء ..
	(يصيح الديك ..)
عطاف :	لكن لو يسقط هذا الظلام المعلق في نافذتي فأستريح ..
	(تزداد الإضاءة إبهاراً ، بينما يزداد الخارج حلكة كما يظهر من النافذة ..)
عطاف :	لو يسقط .. ، أو أنام قليلاً ..
	(يدق رنين الهاتف ..)
عطاف :	بل سأصحو..، لن أنام ثانية..، فقط سأُحَوِّلُ القلق والتوتر الذين يمنعاني من النوم، إلى رغبة في الصحو، تمنعني من النوم، سأمد يدي من النافذة وألتقط الشمس أضعها فوق رأسي، ليصحو العالم، ويراني أركل الأرض المنخفضة..، أهرع إلى نصب قديم راسخ أعْوَذَهُ تمثال الحلم في حديقة الذاكرة..، لقد وصلت أخيراً إلى قناعة أكيدة في أن معرفتنا المطروحة بالمستقبل يجب أن تظل في وجداننا..
صوته :	أخيراً عرفت .. ، كشفت عن قناعة راسخة بناءة .. ، فالحلم وحده ليس وسيلة للوصول إلى موضع مستقبلي ، إنه مجرد وسيط إرشادي .. ، قد يخطئ .. ؛ فالأحلام مرحلة إطارية ، تحدث فيها كل المراحل الممكنة في التوقع ، حتى تكون مطروحة للحكم بعين الخبرة والقدرات ..
عطاف :	إنا جردنا الأحلام من كل شيء إلا الجموح والفانتازيا .. فأحلامنا كلها وردية ..
صوته :	لأننا نعيش صراعاً حاداً بين الإحساس الطاغي بالقصور ، ومحاولات التعويض الفاشل ..
عطاف :	لذلك نتقهقر دائماً وبانتظام ممل ..
	(يحاول أن يخرج يده من النافذة فتصطدم بالظلام ، وكأنه صخرة أغلقت النافذة عليه ؛ فيصرخ ..)
عطاف :	لا .. لا .. ، سأخرج الشمس ثانية .. ، سأخرج الشمس ثانية .. سأخرج الشمس ..
	(رنين ..)

عطاف :	سأخرجها لأحلم حلماً أعيش به .. ، ويعيش .. ، أحلم حلماً يقفز من الذاكرة .. ، يتخلق محسوساً بين يديّ ..
	(رنين .. ، وتخفت الإضاءة جداً ، بينما هو يتهاوى ممسكاً بالنافذة التي تظهر لأول مرة على حقيقتها ، إنها مجسم ورقي ، والظلام فيه مجرد تصوير دقيق على قماش ، يهوي إلى الأرض ، فتظهر الخلفية الحقيقية للمسرح : نافذة من الألوميتال محكمة الغلق ، يصيح الديك ، والشمس صادحة في الخارج .. ، تتسرب أشعتها من الزجاج ، وتسقط على رأسه ، فيتأملها برهة ، ثم ينتفض واقفاً متهالكاً ، يصرخ بصوت مبحوح ..)
عطاف :	إنهم رسموا لي الظلام بدقة حتى أظل حبيساً فيه حتى لا تستيقظ روحي .. ، لأظل كما علمونا في الفلسفة : جسداً محصناً .. ، حطاماً مكوماً على صخرة من الواقع المهشم .. ، لكني الآن أستعيد لحطام الجسد عامود الروح ، فأنتصب واقفاً .. ، سأنتصب ..
	(يحاول فتح النافذة طويلاً .. ، إلى أن تنفتح بصعوبة ، وتعود الإضاءة لما كانت عليه ، بينما يتدفق من النافذة سيل جارف من الضوضاء : سيارات تنطلق ، أصوات ماكينات أزيز طائرات ، هدير مصانع ، خرير ماء ، إذاعات ، تكات إلكترونية ، صفير موجي ، رنين هواتف .. يتجه مندفعاً نحو الهاتف ، يجرب رقماً ، ثم يقول :)
عطاف :	صديقي .. دعني أراك قبل أن أغادر ..
	(يصمت .. ..)
* * *	.. ..
عطاف :	نعم .. ، والأرض المنخفضة أيضاً
	(يصمت .. .. ..)
* * *	.. ..
عطاف :	كلاهما الآن المشفى والمهجر .. .. ..
	(يصمت .. .. ..)
* * *	.. ..
عطاف :	لا .. ، لن أظل ثانية فيها ..
* * *	.. ..
	(يصمت .. ..)
* * *	.. ..
عطاف :	سيظل مستشفى بنيكوم جرحاً .. ، لكنه غير كل الجراح التي عذبتني .. ، إنه أهداني حلم الشفاء من الأحلام العاجزة المقهورة ، أيقظني لأتابع الهرولة وراء أحلام أخرى .. ، لعلها تجدي ..
	(يصمت .. .. ..)
* * *	.. ..
عطاف :	أنا أعتقد أن بقائي ـ إن بقيت ـ سيكون انحناءً مشرعاً بلسان أعرج لا أستطيعه ، ولا أكاد أسيغه .. ، بل أمقته .. ، فأنا أعرف أني لو بقيت بعاهتي .. سألطخ ملابسكم أنتم ، أجركم بي إلى الخلف ، وأهدم ما تبنون من نجاحات .. ، أنا

الآن اقتنعت بأن لي دوراً أقوم به في أوطاني ، كل مكان يتخذ لساني وطناً له ، فهو وطني .. ، في أيها تحقق الحلم سأبقى ..

(يضع سماعة الهاتف .. ، ويمشي فوق أرضية المسرح متجهاً إلى أقصى اليمين بينما كل الديكورات تبتلعها جهة اليسار ، حتى يصبح المسرح خلواً من الديكور ، ويعتمد هنا على الأضواء ، وأجهزة توليد الضباب السينمائي ، بينما يظل عطاف سائراً ، وعندما يتجاوز منتصف المسرح بقليل يُقترح استخدام حركة (محلك سر) . ثم تعزف الموسيقا مقطوعة فلكلورية مغربية على آلتي العود والطنبورة ، ويتجمد المشهد ، ويتكاثف حوله الضباب .. والأضواء الملونة .. وتعلو الموسيقا ، وتتدلى من أعلى المسرح ستارة مرسومة بدقة ، عبارة عن إطار كبير من الزخرفة الإسلامية ذات الطابع الهندسي المطعم بالزخرفة النباتية ، في منتصفها مستطيل على شكل مشربية ، وتتحول الموسيقا المميزة للأذان ، تلك المشهورة في مصر ، ثم يُسمع صوتٌ خافت يؤذن .. ، وديك يصيح ..
وتأخذ الإضاءة في الازدياد حتى تصل إلى حد الإبهار .. ،
تسكت الموسيقا .. ، ويظل المؤذن بصوت خافت يردد أذانه .. ، والديك يصيح .. .. ..

* ســتار *

•

وهنا
تنفصل قطرة دم
عن منبع النزف .. ، تغادر
جرحاً لم يزل يتفتــق ألماً .. ؛
وربما .. ، يظــل طويلاً هــكذا ..
سمكة ظامئة في صحـــراء هولندا
إنـــــــــــــه
* محـمد عطـــاف *
انتهى النص المسرحي في أكتوبر 1995م
ساحل طهطا
عـلاء الدين رمضـان

مسرحية

الخروج إلى القلعة

" مسرحية شعرية في خمسة مشاهد "

تأليف

علاء الدين رمضان

الخروج إلى القلعة

المكان ضمني ، أو مصرح به داخل النص ..

الزمن : الماضي ، الماضي / الحاضر ، المستقبل المبني للمجهول ..

المشاهد :

* الطرقات الظامئة
* ذاكرة الحجب .
* أشعل نيرانك في ..
* جئت على قدر .
* سأجرب أغنية أخرى .

المشهد الأول

الطرقات الظامئة :

	[المسرح فراغ إلا من صخرتين كبيرتين في منتصفه .. تمثل خلفيته صورة سيئة للهيكل الخارجي لمسجد محمد علي بالقلعة ، بينما تبدو قباب المسجد ورماح مآذنه أكثر دقة ووضوح ولمعان ، كأنها حقيقة ملموسة دون بقية الهيكل..، مطلية باللون الذهبي اللامع ، وبقية جسد الهيكل ملون باللون الذهبي المطفأ .. زاوية النظر إلى الهيكل تكون من مكان منخفض ـ تقريباً ـ داخل القلعة، يحقق للمشهد شموخه الواجب وقدسيته المفروضة . تدخل فتاة في حوالي الخامسة والعشرين من عمرها ، تلف أرجاء المسرح في حركات تفقدية مضطربة ، ثم تجلس على إحدى الصخرتين .. ، يغلفها قلق الترقب والانتظار ..، قلق تجسده اضطرابات ضوئية وجدول موسيقي مجروح؛ بعد لحظات يدخل شاب في حوالي العشرين من عمره، يقترب من الفتاة ، تعلو الموسيقا شيئاً .. فشيئاً ..، ثم تسكت فجأة ، فيثبت المشهد للحظات على المسرح ، بينما يسمع صوت من الخارج له نبرات قوية وجادة] :
الصوت:	(فايتني على مين يا سكر ... في الندى مبلول .. .. .. ؟ . يا سندق الغرب(*) أنا قلبي عليك مشغول .. .. .. ! .) * سندق : أصلها " سنجق" ، وهي رتبة عسكرية مملوكية أدخل على اللفظ بعض أهالي الصعيد تحريفاً لهجياً بإبدال الجيم دالاً .
	[يتحرك الفتى نحو الفتاة الجالسة ، ويجلس على الصخرة المجاورة ، فتنتفض بحزن وانفعال شديدين ، ثم تبدأ في الحديث] :
هـي :	أن أجوب القاهرة المزدانة بالعشق ..، ألملم وحدتي الظامئة إلى همس أصابعك .. على أوتار الجسد اليابس من بعد جفافك .. أنثرها .. في جيب بكارتها غرفتي العذراء .. [بحدة ..] : وحدي..، طول العام ألام من الخطوات العازبة عن الأحلام.. ..، الخطوات القاسية المغتربة عن قدم الخطو إليك، وخطوات الطرقات..، حرام ..، أن تهجرني العام بأيامه.. ـ إلا أيام تجليك ـ أسميها..، في كل مساء أخلو بك فيه..، على راحة يمناي.. أعيدك لي أن نجلس ثانية في أفياء القلعة .. [لكنك مجروح تهرب من نزفك.. من أغنية هامسة قد تتسرب عبر وريد الأمكنة إليك..، تفجر تذكاراتك.. وأظل معلقة.. بين الجرح البركاني المكلوم وأحلام القلعة..لا الجرح يثور،ولا الأحلام احترقت أو ذابت والعمر يمر.. فيقذف في قلبي الوهن فتور الشيخوخة.. أشعر أني أنهار.. وأن خريف العمر الرابض.. يستعمرني.. يبدأ من روحي..]

هـــي:	لو أنك بين يدي بسطت جراحك .. ، أو حملتني ترحلك الآن .. ، لكنك ظلت بمفردك تقاسي وأقاسي من هذا الكبر .. ، جرحك يقتلني .. يقتلني .. ؛ يقتلني .. .. .. ،
هـــو:	جرحي امرأة قاسية شفت عن قلب غض .. زائف .. ، فكشفت لها عن روحٍ حالمة .. ، إذ دخلت ملكوتي .. ، انفردت بالطغيان علي .. ، وخاصمت الحلم إذا ذاب على نهديها .. قمرا يشعل غربته .. جرحاً محموماً في حجر الذاكرة .. ، تدفق بنزيف رحال .. ، لا يندمل بشيء.. غير تقصي أقراء الذاكرة ..، فينزل فيما تنزل..
هـــي:	ولذلك جئت الآن .. ؟ جاءت أزمنة مواسمك هنا .. ؟
هـــو:	لا .. ، بل من أجلك أنت أتيت .. ..
هـــي:	من أجلي .. ؟ ! . أم من أجل امرأة قتلتك أتي .. ؟ . أتيت لتثأر من تذكار أجوف .. وقباب باهتة .. ، ما عادت تذكر خطوتك الأولى في عينيها .. ، عبر بكارتها الخضراء .. .. إذ جبت طريق الدفتر خانة نحو الجبل الواطئ والكثبان ..
هـــو:	من أجلك أنت .. أتيت .. هاجرت من السيل الريفي .. ، وميدان الكاتدرائية .. ، جئتك ولداً مرتحلاً ، لا يعرف غير الحزن .. ، ومغتربا .. ، لا يدري كيف يقر قرار بداوته عندك .. ـ في قلعته ـ يرجع حضرياً يحفظ في طيات القلب مزامير غموضه .. ، .. .. وهلامياً ، رغم البوح المنسرب إليكم مني .. .. [يصنع حركة إحاطة بذراعيه] بدءاً من أيام القاهرة .. ، ومرتداً نحو الكاتدرائية ، وحديقة فريال .. ، وميدان الصخر البني .. ، .. رنيم .. ، وكيكيتو تسور ـ يانج .. ، وأنت .. [بانفعال حميم] انفجري في جرحي .. ثوري .. قولي أن آتيك ـ فمن حقك أن آتيك ـ أن أترك غرفتي .. / السوء .. ، فأحتمل دخولك فيها .. ،

	لوحاتي : فوق عراء الحائط .. أحلامي .. أتركك هناك .. ، وأستبق الخطو لآتيك .. لكن ثوري .. كي يختلف الأمر ..
هـــي :	لن يختلف الأمر كثيراً دون حضورك فيَّ.. فأنا أرسف في ربقة هذي الأغلال.. ولذلك أنت على إقصائك جِدُّ مُلام
هـــو :	كيف ألام وحال القلعة يغري بالإثم .. ن فالقلعة عارية .. لا أسوار الآن .. ولا عسكر .. ، والكل مباح .. ، ولذلك رحت بعيداً كي أحجب عني فورات الأخلاط ..
هـــي :	كان الأولى أن تحصن جسد القلعة من هجمات الأيام .. ، وطغيان الألوان المبهرة على الأحلام ..
هـــو:	إني أربأ بالمجد الغابر أن ألقيه إلى الغوغاء
	[في حركة متبادلة يمسك بكوعيها وتمسك بكوعيه، ويشرعان في الوقوف، والحديث بينهما متصل، فما إن ينتهي من جملته حتى يبادره في توسل واستجداء..]
هـــي:	لا تتركني مثقلة بجوارك .. ، تعزوني الغربة عن روحي .. ، بل أدخلني فيك .. ، لتدخلني ما جئت إليَّ .. ، ادْخُلْنِي سلطاناً يرفل في عرش ذهبي لألاء . ادْخُلْنِي يا سيد قلبي .. ، سلطاناً متبوعاً لا تثقله تبعات الإلغاء .. ادْخُلْنِي ما جئت إلى القلعة من أجلي وحدي .. ، ما جئت إلي .. ، وضم ربوعي فيك .. ، ووزع بين خطوطك ذاتي .. بعثرني بين نثار تشتتك .. ، وزعني بين ثنيات تغربك / الخوف .. ، حدس قدومك .. وارض بكل عيوبي .. كي يلتئم الشمل ..
هـــو:	إني موثوق في ظلماتي تثقلني أعباء سنين العزلة والأسمال النابتة على جسدي الموهن ..
هـــي:	سامحني .. لو تشرد نفسي .. ، فتحط على غصن آخر .. ، يغريني فيه فراغي .. ، فأنا متعبة وحدي .. ، حين تخبئ عن تعبي أغصانك فأهيم على وجهي .. ، وأعود .. ، فما ثم سوى القلعة ترضى بحطامي .. والقلعة عارية الأسوار الآن .. ولا عسكر ..
هـــو :	القلعة خائنة .. ، تفتح للنزق مغاليق الأسوار وتدنو عارية .. من هرج الشعب .. ن فلا يدخلها إلا مقتول يستجدي الذكرى .. ، أو قاتل .. حط على ريح النفس .. بتاريخ رسمي أبيض .. حط : فمادت بالنفس رغائبها

	نحو المعتركين على حلم نزق أخضر .. ، أنت تركت الغصن وحيداً عند المقهى .. ، رحت إلى حيرة نشوان .. يلوح بالرغبة لامرأة لم تخرج بالروح إلى الطرقات .. حلقت إلى خطفة وهم شبقي .. وتنكبت نواميسي .. ..
هـــي :	سامحني .. ، كنت أجرب خطوي من بعد السجن .. ، ونوري من بعد الظلمة .. فقروني الستة تركت جرحاً في قلبي يغريني بالحرية .. .. كانت روحي محمومة .. كانت تأمرني الوحدة والوحشة..، أن أخطف حلماً لي ..، يمشي في الطرقات معي ..، حتى تأتي للقلب..، وتعيد إلي نواميسي وترتب أشيائي..، لكن غيابك طال ..، وها أنت أتيت كسيحاً لا تخطو خطواً أو تلمس عقلاً فتنير. فسامحني .. سامحني .. لو أتركك على ناصية المقهى.. كي أحكم بينكما في حلم غائم.. لم يلمحه سواي.. فلا تغلق ذاكرتك.. إذ أفتح بابي لندائك..، وادخل جعمز.. ساعتها لن تخشى أن تترك قلعتك بلا أسوار ..
هـــو:	مشكلتك .. أنك غامرت بما يشبه ناصية تفتح ما بين خطاي / الروح وأشباح القاهرة / الوهم .. المنتفخ بريح فاسد .. فأنا لا أذكر أني قد جبت روائح مضمارك .. جئت طرائقه ..
هـــي :	لكنك جئت .. ، دخلت القلعة بي .. ، وخرجت بمفردك .. ، أنت تركت الروح محلقة عند الشرفات العالية بسجن القلعة .. خرساء .. ، ومنعزلة .. ، تنتظر مواسمك .. لتطلقها ثانية .. ، أنت أتيت إليَّ .. ، لكن ثلمت حدتك وخارت منك قواك .. واستسلمت لغيبتك كما أنت .. ، ولم تقفُ على ريحك أسباب الحيطة ليَّ .. وكنت عليماً أني جسد في الريح .. مشرعة أطيافي لسهام القناصة .. فتغافلت عن الجسد ورحت إلى حضرتك بروحي .. ثم تخففت على الشرفاتْ.. وخرجت وحيداً .. وأنا واقفة في الميدان بجسد عارٍ .. لا روح معي تحميني من داخل ذاتي .. لا أنت تزود سهام الرغبة عني .. أنت تركت القلعة عارية .. لا أسوار الآن .. ولا عسكر .. ! .
هـــو:	كنت بعيداً عن شيخي .. ، حين يلقنني الورْد ..

	حجار الذكرى .. ويعمدني بالبوح .. ، كنت محوجاً لاستقصاء أصول الحكم .. أتمتم ـ بعد سنين العتمة ـ مرائي الأنوار ، فأقصد شيخي وجذوري ..؛
	[تخفت الإضاءة حتى تصل لحد الإظلام عند هذه النقطة ن ثم يسلط ضوء أبيض على الشخصية المسترسلة في حديثها دون أي تغيير غير تحولات الشكل الانفعالي]
هـــو:	ألتمس طريقاً للعودة .. للروح : كشفك .. ، عرفك .. ، ذاكرتي .. ، ذاتك .. ، فأشف ن وأكشف عن ورد الشيخ .. ، إذا تمتم أوردتي : أوراداً تشبه نزف شراييني..
	[تعود الإضاءة كما كانت]
هـــو:	فنسيت القلعة .. ، وهربت إليه .. ، لأعود بتابوت قواي .. ، وأعرافي ..
هـــي:	لكني كنت أحبك .. ، هذا منطلق لتظل المرحلة معي .. ، كنت أريدك في أيامي .. ، كي تشدد أذر خطاي بخطواتك .. ، ونعالج هذي الطرقات .. ، بخطوٍ مبتدئ من شارع رمسيس..، يتوغل حتى يدخل في المدن الشرقية.. بي تخطو فوق تواريخي ..، ساعتها سيعود إليك التابوت عياناً لا غيباً ..، لكنك آثرت الغيب ..، وغبت ..،
هـــو:	أعلم أنك حين سألت الترحال إلى "أون" معي ، كنت تريدين دخول الحلم الطواف إلى واقعك / .. الألفة .. قرباً .. ، وحديثاً يرهق ذاكرة الطامع بلقائك ما باح بأغنية العطر .. فراش الزهر الظامئ لنسيم سكران ..
هـــي:	كنت أريدك أن تنزل من عليائك .. نحوي .. ، لترى أني عزلاء .. لا غير في هذا الطل .. ، هدف منصوب في الميدان تتزاحم صوبي أسهم هذي الطرقات .. أريدك لتوسدني حلمك .. إذ أغفو .. فيؤهلني الحلم لأغنية .. سوف أدندنها لربوعك .. ، إذ أصحو ..
هـــو :	ما كنت بعلياء .. ، ولكنك واهمة بالزهو .. حين يمر العشق المتهدج بالألق الوسنان وبالوهم الطامي فيصير رسولاً أبكم للعشاق .. فيخرسهم ..
هـــي :	[بصوت متهدج] هذا حلمي .. المضرج بضياعك مني .. ، وضياعي ..
هـــو:	الحلم المخطوف من الطرقات .. ؟
هـــي:	أنا ما خنتك حين نزلت إلى غصن أقرب للطرقات هنا ..
هـــو:	الحلم المخطوف من الطرقات خيانة .. ، ما دامت تلك الأحلام ترف إلى أغصان متدنية .. ، تثأر من ريح النفس الخضراء .. إذا هب نسيم الروح عليها ..

هـــي:	أنا ما خنتك .. كنت وحيدة .. عارية في الطل بلا منعة .. والنفس مسلطة برغائبها .. ، فأنست لها إذ دخلت وحدتي عليَّ .. إذ جاءتني في سجن القلعة .. ، فكت عني إصري .. ، فأنست بها وقتاً .. ، ونسيت .. ،
هـــو:	وهنا انقلب الحلم إلى شيطان أخرس .. ، أوهمك بأنك مسجونة .. داخل قلعتك / العرش .. مملكتك يا سلطانة .. ، فهرعت إليه .. ، ودخلت إلى سجن أكثر ضيقاً من هذا القلب المتقلب .. ، هذا القلب الخوان .. ،
هـــي:	[بجزع] : .. .. .. والآن .. !
هـــو:	[يجيبها بتحدٍ] الآن سأكشف سر تفاصيلي .. [يذرع المكان جيئة وذهاباً] سأغني أغنيتي للموت المهطع.. للحلم..، وأقذف روحي في وهم الترحال..، فتحضنها أقبية القلعة حين أجيء إليها وحدي .. ، يدخلني رجعك .. ، فأغامر بالترحال بعيداً عن آلامك .. ،
هـــي:	الآن .. !! [تكرر هذا اللفظ أثناء كلامه]
هـــو:	[يجثو على ركبتيه] الآن سأنبش في قلبي كهفاً .. يحملني نحو رنيم أغانيّ .. ورجع تلاواتي ..، إذ جاءت تأتمر برغباتي .. ، القلب المفتوح على آخره .. ، القلب المهصور على أفياء الجنة ..، بين يدي ملك قديس .. ، فتلملم أعضائي من بين شتات الشعر .. إذا غمضت حالته عن كشف الريح لناصية الروح .. ، وما جابت عن نسم .. يمسح مقهاه وميدانه ..
هـــي:	[باستعلاء] الآن .. ؟!! .
هـــو:	[يتداعى نحو السقوط على الأرض .. ، رأسه مرتفع بعض الشيء] سأسمي كل قصائدي العذراء بأسماء الموت إذا جاب القلعة..، يكسونا بردائهْ .. ، وأغني للروح قصائدي المسجونة خلف الأسوار المغروسة في أنحائي .. ، أغنية للموت إذا مسح قلبي ليضيف إليَّ ستاراً آخر .. يخفي مكنوني .. ، ويلون بالطرقات الظامئة مداخل ملكوتي ..
هـــي:	[بحدة وحماس] الآن .. !
هـــو:	[يريح رأسه على أرض القلعة .. ويدمدم].. الآن يكوني سقوطي منفرداً أيضاً ..
هـــي:	[تجثو بقربه .. ، تأخذه بين ذراعيها ن وتضمه إلى قلبها] كان محالاً أن ترحل لنساء الآخرة .. [تتحول نبرتها إلى استجداء] تتركني وحدي..، ثانية..،تتركني..لا أعرف عنك سوى جهلي بترانيمكْ.. كيف تركت القلعة دون البوح الأكبر .. ؟ حين عرجت إلى سدرة منطلقي فيك .. ن وطار براقك فاستلقى ظلك تحت جدار المبكى .. ، وانهمر الدمع .. **[تلقي به على الأرض ، وتتقهقر ن ثم تكر عائدة إليه .. ، تتقدم نحوه ، تركع عند صدره ، ترفع رأسه حين تجذبه إليها من كتفه ، وتصرخ فيه بهستيريا ..]**

هـــــي:	الآن .. غن .. لي .. غن .. لي .. ، وانتظر .. لا تتركني وحدي .. كي لا يلطمني البرق على خدي ، أو تغدر بي خنازير المقطم .. وذئاب الصحراء .. ، فالقلعة عارية .. لا أسوار الآن .. ولا عسكر ..
هـــــي:	[تتحول نبرات صوتها إلى نبرات رقيقة حالمة] الآن .. .. ، غن لي .. غن لي أغنيتي .. .. غن لي أغنيتي ثانية .. ـ من فضلك ـ .. عن لي .. ذكرني بسنيني .. ، كي أدخل بأغانيك إلى مدني من جلق أو سامرا مرة .. أو بغذاذا .. ، فلماذا تخرس قلبك عن دندنة تشفيني .. ، أو تشفيني .. ، هيا مبتدئاً من حلوان .. ، ورمسيس .. ، وطريق القلعة ، والدفتر خانة .. غن لي .. غن لي .. [يتلاشى صوتها ..] غن لي .. [حين تترك كتفيه ؛ يسقط على الأرض برأسه ، تشهق ،وتضع يدها على فمها في ذعر وحيرة .. ، وكأنها اكتشفت لتوها أنه مات..] [تضع يدها على بطنه ، وتريح رأسها على صدره ، ثم تبكي بشهيق مسموع ، يخفت شيئاً فشيئاً ، بينما تنزل ستارة شفافة يمكن رؤيتهما من خلالها ، وخلفهما القلعة .. تشع لونها الذهبي ببريق آخذ ينفذ من خلال الستار]. [ســـــتار]

المشهد الثاني

ذاكرة الحجب :

	[المسرح فراغ خلفيته : المشهد السابق .. ، إضاءته خافتة بينما تتركز بقعة من الضوء على العاشقين .. ويسمع من الخارج صوت له نبرات قوية وجادة] :
صوت :	العقل في الرأس ما .. لَتْ لكن الجمجمة مالت ..
	[يدخل رجلان وقوران يحملان منضدة مستطيلة يتنافى حملها مع وقارهما الظاهر ، ومن الناحية الأخرى يدخل خمسة عبيد ببشرتهم السوداء المميزة يحمل كل واحد منهم على ظهره صخرة ينحني معها ظهره تماماً ، يلفون حول المنضدة ، ثم يضعون أحمالهم خلفها ، فيجلس السيدان كل واحد منهما على صخرة بينما العبيد يقفون في الخلف صفاً واحداً متجاوراً أيديهم معقودة على صدورهم ، ثم يدخل رجل آخر وقور الهيئة ، وأكثر تميزاً من الآخرين ، ويجلس بينهما ، وما إن يستقر به المقام حتى يدخل شاب في العشرين من عمره (هو) حاملاً سياجاً حديدياً على هيئة قضبان سجن لها قواعد للتثبيت ضيعها من الناحية اليمنى للمسرح في الركن المقابل للجمهور ، ثم يقف خلف هذه القضبان ن بينما يتكلم الوجهاء الثلاثة في صوت واحد ، ويراعى ذلك في موضعه من المشهد حتى نهايته ؛ وبالإمكان تخيل أنهم ثلاث نسخ مكررة لشخص واحد ..]
القضاة :	[بصوت واحد] جئت على قدر يا "علاء الدين".. ، ـ ألا ساءت أيامك .. .. ـ مهدنا لك قلباً حجرياً كالثلج .. ، تذوبه تذكاراتك .. ؟!. سُـؤْ .. .. .. !!.
هـــو :	لا ساءت ساعات ترحمنا إذ جابت طرقات الروح الحرجة .. من سقط الغربة ، أو جبَّ الترحال .. ، إلى وطن ، في طيات القلب مزامير رؤاه .. ، ولذلك جئت .. ، توسدت طريقاً للموت .. / إلى امرأة ذابت في .. ، وذبت على كفيها .. ، فتبخرنا .. !! .
القضاة :	تلك الخارجة على الأعراف .. وكيف تبخرت السوسنة وطارت بسماء الحقل .. وهذا القيد المحكم من طين وحذر .. ، كيف انفك .. ؟!
هـــو :	امرأتي جدول حزن دفاق .. ينبع من خوفي .. ويصب على شطآن فؤادي ـ خوفاً .. يرهقني .. إذ أدخل ملكوتي .. مقتولاً باللقيا .. وسهام مودتنا ..

القضاة :	حدد اسماً بشرياً لامرأتك .. من عرفت خطوك فوق طرائقها ..
هـــو :	لم تعرفني بشرياً .. كد على موقفه .. كي يرسم قلباً مشطوراً بسهام العشق ..، ولم أعرفها امرأة تعشق قاعدة الناس ـ البشريين ـ فكنا غرباء طريقتنا .. إذ شفت عني .. فكشفت فؤادي .. امرأتي زهرة هذا القلب البيضاء .. ، وأنا سقاء كل صباح أخرج من قلبي حبات ندى .. ونسائم .. ، حتى أذعنت إليكم .. للعسكر ..
القضاة :	لكن أشواك الزهرة وخزتك .. ، وتركتك جريحاً ..
هـــو :	ظنت أني بشري الروح .. فانصاعت للحجب .. ووخزتني الزهرة .. ، فصرخت .. ، وساعتها .. استنهضت شفاعتها .. فبكتْ .. ، ورحلتُ إلى أسري معكم .. .. !! .
القضاة :	قلت بكت والبكيا للضعفاء ..
هـــو :	البكيا للبشري الأسمى .. القضاة : لك أن تدرك أن امرأتك تسمو فوق البشريين .. ، وتبقى .. تحصر في معدودات البشر لدينا .. وستفهم سر ترحمك اليوم .. على ما ضاع بفيء الغربة ما ضاعف غربته : القلب .. ، لترحالك .. ، لكنك ما أدركت إلى الآن أن جذور الزهرة ليست لك .. ؟!!.
هـــو :	كيف وهذا غرسي ورُوَائِي فيَّ رنين أغانيها يملأ سمعي .. وعلى قبو القلعة رسم تآخينا ..
القضاة :	هل كانت تأتي القلعة ..؟ ـ انظر .. ـ ذياك الشبح الذهبي .. ـ فراودها شيطان القصر .. / الطلل .. / المحروس بتمثالي أسدين يدرك طفل أنهما من صخر لا يحرس أضحكها من عمق فؤادكما الطفل .. !! . ياآآ..
هـــو :	[مندهشاً]: ليست لشياطين القلعة أذن يدخلا همس رنيم إذا غنت .. ، وتغنت .. ، بالمكشوفين لعين الله إذا غمضت عنهم أعين رقباء القلعة .. من بشر .. ، وملائك .. رف حنين العشق إليهم .. ، أو لغموض ملامحهم ..
القضاة :	قلت رنيم .. ، هذا صوت يتردد لا أرض .. ، لا جذور .. ، لا أغصان .. ، وما اداركت تخفيك .. ، لتخفيك امرأة في ذاكرة الحجب .. ،

هـــو :	ليظل الاسم حرام .. ، لا تلج قداسته الألسن .. ، لكن لرنيم محيط لا تخطئه العينان .. ، فضاء يملؤه زمن ممتد .. ، ومكان ..
القضاة :	هل هي شاعرة .. ؟! . قديسة .. ؟!! .
هـــو :	لا .. بل أكثر من شاعرة .. ، راهبة .. ، ومفلسفة .. ، ومفلسفة .. ، ومفكرة .. ، أكبر من كل صفات الفوق .. ، وأكبر من كل الفوقيين .. ، إذا دخلت صدرك مرحت .. ، مزجت قلبك بالعطر .. ، وحدرت الدمع على أزهار الفرحة .. ، هاصت فيك .. ، فهصت .. ، إذا ما دخلت فيك .. ، ولن تدخل فيك .. ، لأنك لن تدرك يوماً كنهي فتشابهني عند رنيم لتدخلها ..!! .
القضاة :	أنت عرفت شياطين القلعة .. ، وصعقت ..
هـــو :	ورد لشياطين القلعة لا يوجز - في جل تفاصيلهْ - صوت العشق .. ، يصوغ لأرواح الشعراء حريقاً .. يرتجل قصائدهم فيها .. ، ويميل بها نحو تفرقهم .. ، وتفردهم .. ، حرفاً .. ، حرفاً .. لا يعطي الحرف رنيمهمو بوحاً .. ، بل ترحاً يشقيها .. ، لا ينسيها عشاقاً قتلته مودته وخنوعه .. ، فلا تدرك أن شويعرها مقتول بسهام رغائبه .. ؛ ما قتلته مودته .. ، قتلتـه شـياطين القلعـة إذ كشـف غطـاء تلصصـهم نحـو قصـائد غربتـه .. ، فاستاءت لمودتها إذ فقدتها امرأتي .. !! .
القضاة :	قتلتك رنيمك .. ؟!.
هـــو :	لا .. ، بل قتلتني كل شياطين القلعة .. ، وصباح أخرس .. لا زهر .. ، ولا أنداء .. ..
القضاة :	أي صباح تقصد ..

هـــــو :	صبح أشرق في "مفرق وجه" الباحث عن غربته في غربتها .. استاءت من عدميته القاهرة .. صبح .. كذاب .. شجبته المدن البيضاء .. يتملق ـ تسليماً ـ لتراتيلي .. .. يكرهني ..
القضاة :	قد قتلك صبحك .. ؟!.
هـــــو :	ما كان ليقتلني غير شياطين القلعة .. وصباحي كرنيمي .. مقتول مثلي .. ـ انظر ..!! ـ
	[يشير إلى خلفية المسرح ، وقد بدت فيها من خلف الستار الشفاف "القلعة" ، بلمعانها الذهبي ، وهو جزء من مشهد الفتى المتمطي والفتاة التي صعقت لموته ، بقية المشهد تخفيه المنضدة والأجساد البدينة خلفها ..]
هـــــو :	ذياك المشهد .. يحضنه الخوف .. ويهديه القلق إلى صحن الموت وراءك .. ، فارجع .. ،
	[يشير إلى المشهد الخلفي ، ثم يستأنف كلامه مشيراً إلى نفسه ..]
هـــــو :	انظر لي بين يديك .. ! .
	[يدير ظهره للجمهور ، ويشير إليهم من خلفه ..]
هـــــو :	انظر قدامك من بعدي إذ أجثو بين يديكم .. وتجوسون طرائق قلبي .. ، وشراييني .. ، ما احتالت فيَّ أنابيب الدم إلى نابالم يتوغل فيَّ .. ، الآن .. ، فَدَنَّرَنِي صحوي بسكون القلق .. القلق .. الرحال .. يجثو بين ترهله عضواً يقتله المسكون بسكان القلعة .. [يصرخ] يا حكام القلعة .. " u " .. " يـــــو " .. يؤسفني أن أكشف عن وهني .. ، أن أخبركم.." N "." إنْ ".." إنَّ سهامكمو لا تنفد إلا في جسدي وحدي ..، يا حكام القلعة .. ، يا حكام .. الـ .. .. ، قلعة .. .. .. ، .. يا .. .. حكمكمو .. حكمكمو .. !! . **[يتعالى صراخه .. ، وينزل الستار شفيفاً على مساحة ضيقة تحجبه وتحجب المنضدة ومن خلفها ، ومن خلف الستار تظل القلعة لامعة .. ، والمشهدان الأول والثاني يمكن رؤيتهما بوضوح ..]** [إظلام] **[ســـتار]**

المشهد الثالث

أشعل نيرانك فيَّ :

	• يوسية : تعريب شعبي للفظ "يو ـ ست" ، وهو اسم من أسماء الآلهة الإغريق عند اليونان. • رومنجدي : ترنيمة من كلام جنيي وعفاريت القلعة . • مرومة : اسم عفريت من الجن ، يسكن مدخل قصر الجوهرة بالقلعة .
	[تدخل المسرح مجموعات في ثياب الشعبيين من سكان القلعة وما حولها في العصر المملوكي، تسلط عليهم الأضواء فتتوزع بتوزعهم وتتحد بتضامهم؛ وهم أشبه بمن هو في عرس شعبي يرقصون ويلهون؛ ثم تتحد البقع الضوئية في بقعة واحدة عندها يسمع صوت يغني فتجيبه المجموعة]:
الصوت:	يا يوسية ..
المجموعة:	يا يوسية ..
الصوت :	غنى ، وغنوا له ..
المجموعة:	رومنجدي ..
الصوت :	ومرومة ف طوله ..
المجموعة:	رمنجدي ..
الصوت :	في حلاوة عيونه
المجموعة:	رمنجدي ..
الصوت:	حلوا المطية ..
المجموعة:	يا يوسية ..
الصوت :	لابس الطاقية ..
المجموعة:	يا يوسية ..
الصوت :	زرعك في السيل ..
المجموعة:	يا يوسية ..
الصوت :	راح المطرية ..
المجموعة:	يا يوسية ..
الصوت :	يا يوسية ..
المجموعة:	يا يوسية ..
	[صمت .. ، إظلام ..] [يظل المسرح على إظلامه بينما يتردد صوت "هو" في أنحاء المسرح صارخاً ..]
هـــــو :	حكمكمو .. يا حكام القلعة .. ..
	[يسمع صوت أقدامه وهو يهرول في جنبات المسرح هنا .. ، وهناك .. ، وعلى الرغم من ذلك يجب ملاحظة أنه يظل من خلف ستار المشهد الثاني

	ثابتاً في مكانه دون حراك .. ، ومن خلف ستار المشهد الأول يبدو الجميع دون حراك كذلك ؛ يضاء المسرح إضاءة كاملة ، ويخفت الصوت بالتدريج مع خفوت الإضاءة حتى ينعدم الصوت ، وتصل الإضاءة إلى لحظة الإظلام غير التام،ليبدو الضوء من أعلى القلعة أصفر شاحباً .. ضعيفاً ، تشعه قبابها الذهبية ن خلف الستارتين الشفافتين، بينما من الأمام يتطاير الدخان الكثيف ، في كل أرجاء المسرح .. وتسمع بوضوح أصوات الأشخاص الذين يتحركون كأشباح أخفاهم الدخان ..]
كافر(1) :	ما كان لسيد من آمن بالله أن يرسل سلطاناً يعدل في القلعة .. من بعد السلطان الصالح ..
كافر(2) :	فعلام يثور خليفتنا ..؟!.
كافر (3):	[منافقاً] أيده الله بسر سريرته عنده .
كافر (4):	أن تحكمنا امرأة .. يا كافر فضل السلطانة .
مكفور(1):	ما خلف موت الملك الصالح غير امرأة .. / أو شجرة در .. / .. تحكمنا من خلف ستار شفاف يدعى عز الدين
شيطان(1):	[بعنف] أيبك ما كان ستاراً ..
كافر(5):	[يدخل مهرولاً من الخارج .. ، تتلاحق أنفاسه ؛ وينادي :] ياكفار .. الكفار أشاعوا في جنبات القلعة .. أن السلطان الكافر .. سيصاهر لؤلؤ بدر الدين .. مليك الموصل .. ، ويؤازره في حرب أخيه .. يا ويح القلعة من شيطان السلطانة .. !
	[صمت .. تنبت منه الموسيقا الناعمة ، معها تعود الإضاءة التدريجية إلى المسرح ، ويعود الصمت أيضاً حتى يصل المكان لدرجة الإنارة التامة وصوت "هو" إلى الصراخ ، مرات ..، ثم يصمت]
هـــــو :	حكمكمو يا حكام القلعة .. ، القلعة عارية لا أسوار الآن ولا عسكر ..
	[تدخل فتاة المشهد الأول نفسها ، لكن ملامحها تبدو وكأنها في سن المراهقة في حوالي الثامنة عشر من عمرها .. ، في حلة بهيجة فخمة .. ، شقراء وجهها مريح القسمات ، ومن الناحية الأخرى يدخل شاب في هندام الأمراء ـ أمراء المماليك ـ هو فتى المشهد الأول نفسه ولا يبدو على عمره أي تغيير ، ملامحه الجامدة ، جفافه الكئيب ، بسمته التي لا تطرا على وجهه إلا قليلاً .. ..]
هـــــي :	[في تدلل] حين تغادرني رائحتك .. يقتلني الشوق إليك فلا تبعد طيف محبتنا عن حق تلاقينا .. واشعل نيرانك فِيَّ .. وزف إليَّ بوادر رجعتك إليَّ.. قل لي :

	ما عدت أحب سواك .. ، سأغفر كل تجنيك عليَّ .. ولن أخشى أن أصرخ في كل العالم : إني في حبك هائمة .. يأسرني القلب ، وتحملني نحوك أعطاف الهوس .. أكاد أجن إذا أحسست بفقدك يا سلطان
هـــو :	يؤسفني أن أكشف زيفي ..، لامرأة ذابت زيفاً .. ورياءً .. فادركت فؤادي .. ، أمنحه امرأة أخرى ..
هـــي :	ونساؤك يا أبيك ..؟! .
هـــو :	الأمر سواء .. لكني لا أقدر أن أنظر في أعينهن بعد تقصيهن الأنباء .. - إذ كان مرامك إبعادي .. - طلقت الطيف الهادي .. ورحلت إلى سلطانتي / العاصفة الموارة .. !! .
هـــي :	أغراك الجاه وعز السلطان .؟!.
هـــو :	لا .. أغراني قلب لا أهديه سبيلاً .. بل يحكمني في خطوي نحوك ..
هـــي :	يا عز الدين .. ، يا فخر القاهرة .. ، السلطان الحاكم في مملكة فؤادي .. ما دام الحب لدينا .. فالدنيا نملكها بين أصابعنا .. ، وسماحاً للماضي .. ألقيه وراء تواريخي .. اصرخ يا عز الدين .. : أحبك يا سلطانة .. أحبك وحدك يا سلطانة .. وسأصرخ أيضاً بالحب معك .. ، قل لي : يقتلني حبك ..
هـــو :	يقتلني حبك يا سلطانة قلبي .. فأريحي الروح بشيء من قربك .. تطفئ نار جوانحي المستعرة .. احتارت روحي .. احتارت .. قرباً .. .. قرباً .. .. يا مولاتي ..
هـــي :	[بخبث ووعيد] سيكون .. فصدقني يا عز الدين .. يكون .. !! [تلتفت إلى الخارج ، وتقول بصوت عالٍ ..]
هـــي :	حمام السلطان سريعاً .. فثرى "الأزبكية" في وجه السلطان تعلق نقعه .. !! [تلتفت إليه]
هـــي :	هيا يا سلطانُ .. ، أعد ما كنت تقول على أذني .. قل .. ، قل : يقتلني حبك يا سلطانة .. روحي .. ، قل .. قل..

	[إظلام تام .. ، بينما يسلط ضوء ثابت على السلطانة التي وقفت في شموخ ، وكأنها تستطلع شيئاً ما في السماء ، ويسلط ضوء آخر على خمسة غلمان يمرون من خلف السلطانة إلى الجهة الأخرى قدامها ، خارجين من المسرح .. ، يمسك الأول سيفاً ، وما إن يخرج من المسرح حتى يظهر الثاني متجهم القسمات .. أعزل ، ويظهر الثالث وفي يده وتر .. ، والرابع كالثاني أعزل متجهم الوجه ، والخامس يمسك سوطاً .. ، ثم تسمع جلبة عالية ، والسلطانة شجرة الدر لا تزال في شموخها تقف كتمثال .. ويسمع صوتها تصرخ دون أن يرى ذلك التكلم على وجهها فلا تزال - وحتى آخر المشهد - ساكنة دون حراك كتمثالٍ ، وكأن الصوت مجرد رجع لكلام سابق ، وصوت الجلبة واستصراخ عز الدين يظلان خلفية لكلام شجرة الدر]
هـــــي :	قل:"يقتلني حبك" .. ، قل يا عز الدين .. قل .. سيكون .. ، فصدقني يا عز الدين .. يكون .. !!
	[إنارة .. ، وتنزل ستارة شفيفة ، يبدو من خلفها المشهد كاملاً ، شجرة الدر شامخة الرأس ، ومن خلفها الأصداء البصرية للمشهدين السابقين . . يسمع صوت نرجيلة مختلط بأصوات رجال يتكلمون]
شيطان(2):	أم علي .. زوج السلطان الأولى .. أمرت كل جواري السلطانة .. أن يقتلن السلطانة بقباقيب خرساء .. ، وبالنعل
كافر(6) :	انتقم عليس لأبيه .. وأم علي نقمت لحياة سلبتها شجرة در قليعتنا .. منها إذ أمرت أيبك أن يقطع ما بينهما .. ..
شيطان(3):	وسحبن السلطانة من رجليها .. ورمين بها من فوق الأسوار إلى الخندق .. عارية ..
مكفور(2):	[كأنه معتوه] كانت في سروال السلطانة كرة من لؤلؤ ..
كافر (7):	[يهمس بحدة ..] صه .. !
مكفور(2):	[في نبرة المعتوه نفسها] لم آخذ بعد نصيبي منها .. !!
كافر(7):	قلت اسكت ..
	[صمت ..] [إظلام ..] [ســـــتار]

المشهد الرابع

جئت على قدر ..

	[إنارة شاحبة .. من الناحية اليسرى يدخل رجل أشيب له لحية بيضاء متشحاً بالبياض ن يجتاز المسرح حتى يصل إلى الناحية اليمنى ، ثم يستدير نحو الجهة اليسرى ، ويقف في شموخ وثبات عاقداً ذراعيه فوق صدره ، وكأنه صنم إغريقي ، من خلف يدخل رجل أشيب له لحية بيضاء متشحاً بالبياض وكأنه نسخة مكررة من الأول ، يلف نحو الرجل الثابت مرات ، ثم يركع أمامه على ركبة واحدة ، ويقول بشكل طقوسي ، وهو ثابت في هيئته] :
الأشيب :	مسا الخير يا سنداس .. يا جني القلاع والجبال .. يا كاشف الخطو ، والمسار .. يا سنداس .. يا مكشوف على الأسرار .. فين الجمع والإخوان .. يجيبوه .. ، ويخبطوه .. ، ويلخبطوه .. .. يا زوبعة يا شاطرة .. عندك شياطينك الحاضرة .. إن دخل نفق . . وإن طلع نفق .. خلو نجمي ونجمه عندكم متفق .. .. ..
	[تتردد الجملة الأخيرة تردد الصدى ، وكأنها تتبع من كل جهة من جهات المسرح ، وينبعث دخان كثيف ، ويخفت الضوء حتى يصل إلى الإظلام ، ثم يضاء المسرح مرة أخرى ، ثم تخفت الإنارة ثانية شيئاً فشيئاً..، ويدخل رجلان بدينان وقوران يحملان منضدة مستطيلة يتنافى حملها مع وقارهما الظاهر ، ومن الناحية الأخرى يدخل خمسة في هيئة عبيد كالشياطين ، ببشرتهم السوداء المميزة ، يحمل كل واحد منهم على ظهره صخرة ينحني معها ظهره تماماً، يلفون في جهد ومشقة حول المنضدة، ثم يضعون أحمالهم خلفها ، فيجلس السيدان، كل واحد منهما على صخرة، بينما العبيد يقفون في الخلف صفاً واحداً متجاوراً، أيديهم معقودة على صدورهم ، ثم يدخل رجل آخر وقور الهيئة وأكثر تميزاً في ملبسه وهيئته من الرجلين الآخرين الذين جلس بينهما وراء المنضدة ، وبه تكتمل مجموعة القضاة من حكام القلعة الذين هم مجرد تكرار لنسخة واحد ، وما إن يقر الأخير في مجلسه حتى يضاء الجانب الأيسر من المسرح فإذا بـ"هو" خلف قضبان

	سجنه، ثم يضاء الجانب الأيمن فيكشف عن"هي/السلطانة" خلف قضبان سجنها ..]
	[إظلام تام ..]
	[إنارة ..]
القضاة :	ثانية أنت .. ؟! . أتيت على قدر يا ..
هـــو :	عز الدين .. ، السلطان ..
القضاة :	و علاء الدين إذا كنته .. ؟! .
هـــو :	ما كنت علاء الدين .. فهذا صعلوك يشبهني عشاق .. ، شاعر .. تغريه نساء قصائده في كل صباح بالموت .. ، وما وافق نجم امرأة .. ، في زمن .. ، نجمه ..
القضاة :	من هذا يا سلطانة .. ؟! .
هـــي :	أيبك .. ، عز الدين .. ، السلطان .. .. ؛ فعلاء الدين الصعلوك الشاعر متجن قاتل .. أفاق ما خلف لي حلماً .. نسجته الأيام على ثوب الملكوت .. قميص العشق ..
هـــو :	راودتني السلطانة عن موتي .. حين دعتني .. من بطن "الأزبكية" .. واعتذرتْ عن كل دناءات اللُّقيا .. ما حفظت شعري .. ، وأتت بي للقلعة .. هي غلقت السجن عليَّ .. ، وقالت : هيت لك الآن فخالطني الصبح .. ، وناداها .. ، قُد ثياب العشق وما كادت .. كانت تسأل عن غَوْلٍ جاءته ، ووردته ..، وشربت من كأس تخبطه ..، بئس الورد إذا وردته .. فما رفد القلعة في حجبي ما وارت أغنيتي عن طرقات القلعة إذ جابتها .. ، ولبئس اللقيا .. إذ جمعت لي كل نساء القرية .. ، أو نزلت في حرثي ..
القضاة :	هل ظلمك قدرك إذ سالت بدماء النسوة أرضك .. ؟ . فانهالت خطوات العشاق إليك ..؟!.
هـــي :	هن أسلن دماء مودتهن عليه .. إذ طلع علين صباحاً دفاقاً يغتال خزائن أشواقي .. ،

	وحدائقي الغناء .. ويمد الظل إلى ملكوت الرغبة .. هو سماني صبحاً .. إذ أطلق فيَّ فراغ الأسئلة ، وقال انتظري الروح . فحصحص في القلعة نور العشق .. وغشاني وخز الجفوة .. إذ أنتظر الأسئلة الحَرَّى عند مراح الروح ..
هـــو :	[بسخرية] ما ظلم الصبحُ الصبحَ إذا أخذته مباهج أشواقهْ .. وجنون صباحٍ طوافٍ ضائع .. مغلوباً بالكشف .. ، ومقتولاً بالشعر ومفصولاً عن ورد القُصَّادِ .. بل كان رشيداً لوح بجنون محبته .. ، واسترخى فسلام للأوابين الخلطاء .. إذا شط المحراب عن الخصمين .. فما قُدِّرَ للفزع استكناه خواطرهم .. ، إذ نزل بساحتها .. .. عربيداً يستهتن دمع العاشقة الناجية من الخلطاء .. إذا ساء صباح الشعراء ..
القضاة :	أنت صنعت الصبح وأطلقت الرؤيا فتجاوز عما تخفيه الروح .. كي يطلع شفافاً في حضرتك سلام الخلطاء
هـــو :	فسلام ما جاء صباح معتوه .. .. يسرق صبحاً من أروقة الشعر ومن أعماق كهوف الشعراء .. ، سلام .. ..
هـــي :	تتحاجا في صبح مسروق .. أو صبح سارق .. كلمات مثبتة .. كلمات منفية .. وأنا أرسف في هذي الأغلال .. تعشي عيني غلالات الأنباء تقصيني .. ، تدنيني .. ، لا تشرق شمس بين مساءين ..

	وهذي المنخسفة ليست شمسي .. فأزيحوا الستر ..
القضاة :	الشمس وعاء ناري حارق .. والمجلس يهدف للرحمة .. ، لإقامة منحنيات سلام .. تتقافز في ألحان الشعراء ..
هـــو :	سترى الشمس إذا طلعت ساطعة .. تدفعهم عن ذاكرة الفجوة .. ما التأمت في روح قصائدهم .. فإذا هم من كل طريق تنسل أشعارهمو .. نزفاً .. ، وجراحاً .. .. ، والقلعة مشرعة للأوهام .. عارية .. ، لا أسوار .. ولا عسكر ..
القضاة :	لقد ضن الأمن عليكم بشراعه .. إذ شط البأس بساحلكم .. كان علينا أن نأتي ونحط الرحل بساحتكم ..
العبيد الخمسة:	فيتو ..
القضاة :	كي .. كي .. نحكم بينكم فيما تختلفون .. وننظم ما هرج من الألوان .. ، وما اختلط من الأشعار بأوزان محدثة .. ، يا .. يا .. أرباب الأشعار ..
هـــو :	لا وقت معي أتسلى فيه بذوب الوجدان النازف بدماء الموتى .. لا موسيقا بين يدي تتراقص مجهورةٌ .. فعويل الأيتام .. على شحمة أذني يقرع .. فتشق له طرقات الروح إلى قلبي صرخات الثكلى .. وأنا أنتظر اليوم الآتي بخلاصي .. حتى أصدح بغائي ثانية ..
القضاة :	يومك سيجيء .. فما تتكلم نفس إلا ما أذن لها .. أو نرضى ..
هـــو :	وسيؤذن لي بالشعر وبالبكيا والأحزان ..
القضاة :	وبما يجدي الحزن أو الأشعار ؟! .
هـــو :	سأكشف عن سر امرأةٍ .. كانت تشبه عندي امرأتي ..

	إذ جاءتني .. كانت تشبه روحي .. فطلعت عليها من أشلائي .. ترهقني تذكاراتي .. وأتيتُ .. ، أبتْ .. ، وتواريتُ .. ، أبتْ .. وصرخت فجاءتني .. وأبيتُ .. توارت خلف ترفقها بالذكرى .. ، وأبيتُ سجنت إذا عدً بها للقلعة .. وتذكرت امرأتي .. ثانية في الميدان .. كانت واقفة بين الأجداث شامخة تنهار .. كانت عارية .. لا أسوار .. ولا عسكر .. فكفرت بما يحجبها عني .. ودخلتُ .. فمدت بالعصيان إليَّ قميصي .. مقطوعاً بالمين من الخلف .. ومن قدام بالإفك .. وقالت .. هذا لك .. وعليه دمي .. ففرحتُ به إذْ ألقتهُ عليَّ .. لكن ما عاد البصر إليَّ .. ، فقصَّرْتُ عن الأمل الطامح فيَّ كثيراً وانكسرت أحلامي .. ثم مددت فؤادي بالموت إليها .. فاستبقت خطوي للقلعة .. قالت حين تلبست بموتي .. هيت لك الآن .. الآن .. ولم يصرف عني غير الكفران بها .. فأذنت لها .. وكفرتُ ..
القضاة :	ما أسلمت لها دنياك .. ، وما مكنت لها ببراحك .. فقميصك مكذوب الدم .. وذاكرتك مثقلة بالأخذ .. فامرأتك ما قالت ها .. لك .. ، بل قال : هالِكْ .. وأشاعت دمك .. فأصرخناها .. بسلام محبتنا ..
هـــو :	ما كان لها ـ إذ جاءت سيارته ـ إلا أن تصبر في ما سولت "القاهرة" لها ..
القضاة :	حتى تصرف عنك السوء .. إذا جاب براحك متشحاً بقميصك ..؟
هـــي :	[تحاج الفتى] ما كنت بمؤمنة لك .. إذ قد قميصي شعرك في الطرقات الظامئة لموتي ..

هـــو :	كان قميصك مقدوداً .. قبل دخولك للقلعة .. غلقت السجن على خوفي .. وصدحت بأغنية للذكرى .. فتسلقت الموسيقا أوردتي .. وتراقصت الأنغام .. فناديت بأحلام "السبعة أعين" .. ما شاهدت السجان الأعمى .. يتداعى نحو القصر المزدان بناصية للموت .. وأخرى للترحال ..
	[يتضام القضاة وتتقارب رؤوسهم في وضع أشبه بالمداولة .. عضوا الطرفين يبتعد كل واحد منهما إلى الجهة التي ينتمي لها فعضو اليمين يميل إلى اليمين وعضو الشمال يميل إلى الشمال وكل واحد منهما يشير بسبابته إشارة "لا" ليبدو رافضاً بينما عضو الوسط يشير بيده كلها بحركة تهدئة يجمع فيها أصابع يده اليمنى في نقطة واحدة ثم يصعد بيده ويهبط ليدل على طلبه الهدوء منهم ويميل على كل واحد منهما ويسر إليه حديثاً إلى أن يقتربا مرة أخرى منه ويتفقوا]
القضاة :	إن كان قميص السلطانة قَدْ قُـدَّ من القبل .. فالسلطان مصدق .. ما راودها عن ملك القاهرة .. ولا ميراث الأشعار .. ، وقمصان العشق .. أما إن كان رداء السلطانة من دبر قَدْ قُدَّ .. فكذب السلطان على ملكوت القلعة .. وأراد العزة لما يذكر بالإشراق الطير الأواب إذا خالطه الحلم بترحال لا يرجع منه سوى رجع الخوف .. ، وأصداء الأحزان ..
العبيد الخمسة:	فيتو ..
هـــو :	إن سقطت كل رموز البلد الأمن .. ، والقلعة ظلت مشرعة للشطار وللفتيان .. والطرقات أفاع تزحف نحو ظلام القلق .. وميدان العشق .. ، حدائق "بوذا" ، فستصرخ فينا .. ستذكرنا بالموت .. / اجتهاد الحب .. / محاولة البوح بمكذوب الآمال .. ومين الأشعار .. ولذلك أقسمت بها .. إني صب يقتله البعد .. فقريًا .. قرباً .. يا مولاتي ..

العبيد الخمسة:	فيتو ..
هـــي :	أنت قتلت حنيني للحلم الطالع منك .. وجئت إلي لتقتلني ثانية .. وَقُتِلْتُ .. فأنا آمنت بأسمالك .. ، أسمو لك .. وسئمت الطير المرتحل الخفاق .. ، إذ يتهجى آيات الموت الساعي بتعاويذ قصائده الحَرَّى .. لسماء الرحلة .. ويرتلها في حنجرتي .. ، أو يتهجى لي الموت بمنقاره ..
هـــو :	أقسمت بها.. أني مرتحل.. يقتله الشوق..، وما صَدَقَتْ خطواتي الكافرة بها.. ولذلك .. أقسمت بها ..
العبيد الخمسة:	فيتو ..
	[إظـلام تـام]
صوت(؟):	أنت قتلت معانيك الحلوة بتسرعك .. اجتزت حريقك فتريثْ ..
صوت(؟؟):	أنت قتلت معانيك الحلوة بتسرعك .. دخلت حريقك .. فـ .. .. .. [يقاطع الصوت صوت "هي" شامخاً]
صوت(هي):	يا علاء الدين .. ، فقدتك ثالثة .. عد لي .. واستقم .. .. وارتفق .. .. غير منقوص .. وانتظر .. وانتصر بالثبات .. خشني بالمحبة .. وادَّكر ..
صوت(؟؟):	أنت قلت معانيك الحلوة بتسرعك .. دخلت حريقك .. ؛ فـ .. .. ..
	[يقاطع الصوت صوت منادية يبدأ من بعيد ، ويقترب شيئاً فشيئاً بينما يزداد صداه حتى تأخذ نبرته أعلى درجة ترديد ، ويضاء المسرح إضاءة كاملة ، ثم تبدأ النبرة في الخفوت تدريجياً حتى الخفوت ، مع تكرار جملة المناداة مراراً.. حسب الوقت المسموح أو المناسب..]
الصوت :	يا علاء الدين .. فقدتك ثالثة .. عد لي واستقم لي وارتفق غير منقوص .. وانتصر .. ، وانتظر .. .. خشني بالمحبة .. .. وادَّكِـرْ
	[أثناء خفوت الصوت ينزل الستار الشفاف ليحيل المشهد إلى أشباح خلف الستار الذي تبدو من خلفه المشاهد السابقة كاملة،والقلعة لامعة بلونها الذهبي]
	[إظلام]
	[ســـــتار]

المشهد الخامس

سأجرب أغنية أخرى ..

	[المسرح فراغ .. الإنارة : بوساطة ضوء أحمر اللون .. من الناحية اليسرى للمسرح تدخل"هي"، تتحدث منذ اللحظة الأولى لدخولها مخاطبة اللاشيء في الناحية المقابلة لها]
هـــي :	كان محالاً أن ترحل لنساء القاهرة .. وتتركني .. لا أعرف عنك سوى جهلي بترانيمك ..
	[بعد أن تنتهي من حديثها يدخل "هو" ن الناحية المقابلة لها ، ويثبت نظرته على وجهها ..]
هـــو :	سأنبش في قلبي قبراً .. يحملني نحوك ثانية .. سأغني أغنية للموت.. أسمي كل قصائدي العذراء بأسماء الموت .. إذا جاب القلعة .. يكسوني بردائه ..
هـــي :	[باستعطاف] لا تركني .. غن لي أغنيتي .. غن لي .. [ثم تتحول إلى الحدة في نبرتها] .. لا تخرس قلبك عن دندنة تشفيك .. وتشفيني .. يقتلني صمتك .. [تعود نبرتها إلى الرقة] غَنِّ لي .. مبتدئاً من شارع رمسيس .. ، من نَجْدٍ .. ، وطريق السيل الريفي .. ، وميدان الكاتدرائية ..
هـــو :	[في انكسار وبصوت مجروح] سأغني دوماً .. سأجرب أغنية أخرى .. تجمعنا .. [يجرب الغناء] والآن يكون سقوطي منفرداً .. أيضاً .. !! . [يعيد جملته بحدة ..] والـ .. .. آن .. يكون .. سقوطي .. منفرداً .. ..

[يعود لتجربة الغناء]
جرحي امرأة قاسية انفردت بالطغيان علي ..
وخاصرت الحلم إذا ذاب على نهديها وطناً مغترباً .. !!
ولذلك سوف يكون سقوطي منفرداً ..
منفرداً ..
[حين يكرر "منفرداً" يغادر المسرح ، وتغادره هي الأخرى باكية .. بصوت مسموع يعلو إلى حد النشيج ، حينما تخرج من المسرح..، ويعلو صوته مكرراً]

هـــو :

سأجرب أغنية أخرى ..
والآن يكون سقوطي منفرداً
منفرداً
منفرداً ..
فاقتربي مني كي أصمد في وجه الريح .. ولا أهوي ..

[إظلام .. صمت ..]

[إضاءة خافتة .. ، ثم ينزل الستار ، وما يلبث أن يرتفع مجدداً فإذا بالمسرح فراغ وخلفيه تمثل منظراً سيئاً من للهيكل الخارجي لمسجد محمد علي بالقلعة ، غير أن قباب المسجد ورماح مآذنه تبدو أكثر دقة من حقيقتها ، فهي واضحة لامعة ، مطلاة باللون الذهبي اللامع ، وبقية جسد الهيكل ملون باللون الذهبي المطفأ ، وأناس كثيرون من كل جهات المسرح يروحون ويجيئون في حركة تداخلية منتظمة، يرتدون ملابس خضراء وعمائم بيضاء ؛ يمسكون في أيديهم نموذجاً (إيزوميتريكياً) مجسماً للقلعة ، أو لمسجد محمد علي على أن تكون قبة المسجد بارزة وواضحة تماماً للجمهور ، بلون برتقالي وجسم النموذج بلون أخضر .. ، يخفت الضوء تماماً .. ، ثم يضاء فجأة إضاءة مبهرة بيضاء لها أرضية حمراء ..]

[ســـــتار]

[القاهرة / طهطا : يناير 1991م]

قراءات في المجموعة المسرحية
(سمكة ظامئة)

أغنيات للحنين والمقاومة
حول مسرحيتي : علاء الدين رمضان
(سمكة ظامئة)

بقلم الكاتب :
محمد جبريل

لا شك أن التقنيات السردية على فعل الخيال عند القارئ، النص الأدبي الذي يقرأ، يختلف عن النص المسرحي الذي يشاهد على المسرح، وعن النص السينمائي الذي يعرض على شاشة السينما؛ نص القراءة يستفز الخيال وينشطه، فهو يرسم الشخصيات، ويتصور الأماكن، وطبيعة الأحداث، أما نص المشاهدة فهو يحد من انطلاقات خيال المتلقي : هذه هي الشخصية ، وهذا هو الحدث ، وهذه هي المقولة أو الدلالة أو العبرة..

ولأن علاء الدين رمضان كتب هاتين المسرحيتين للعرض ، وليس لخيال القارئ ، فإن مناقشتنا لهما ينبغي أن تحدد في إطار التوجه الذي اختاره لهما ..
" سمكة ظامئة " اسم لمسرحيتين معاً من تأليف علاء الدين رمضان ، فالمسرحية الأولى (المونودراما) باسم الشخصية الوحيدة فيها: "محمد عطاف".. والمسرحية الثانية ، الشعرية ، " الخروج إلى القلعة " ..
كلمات الإهداء توضح أن محمد عطاف ليس اسما فنيا، لكنه الاسم الحقيقي لبطل هذه المونودراما التي تناقش قضايا السلطة والقهر والظروف الاجتماعية والاقتصادية والغربة والحنين، ولم يكن الكاتب في حاجة لأن يؤطر تجربته بالواقعية، فلا تحمل للمتلقي معنى المصادرة.. لكن الفنان يعمق من واقعية الحدث في مفتتحه الذي يشير من خلاله إلى أن محمد عطاف تجربة أكبر من أن تتقوقع

ذات، أو يعبر عنها هو؛ ثم تبين رسالة محمد عطاف إلى الفنان عن تحريض بأن يكتب تجربته، وهي تجربة انطلقت ـ كما قال عطاف في رسالته ـ من أحلام عادية وجميلة، تدور حول الخبز والطمأنينة، لتنتهي إلى إقامته في مستشفى الأمراض النفسية، وما بين البداية والنهاية تتخلق درامية قاسية ..

الفنان يحدد المكان غرفة بمستشفى بنيكوم للأمراض النفسية والعصبية بهولندا، فهو مكان محدد، أما الزمان فهو أقرب إلى النثر السردي الذي يعني بالنسبة للمخرج أن عليه تجسيد التحليقات اللغوية، أو بلاغة الأدب، في مشاهد بصرية وأحداث؛ والتحول المكاني يبين في تعليمات الفنان ـ بداية ـ لمخرج المونودراما.. فهي تتسم بالطابع العربي الإسلامي في التكوينات والزخرفة، وفي الموسيقا المغربية الشعبية على آلتي العود والطنبورة، ثم تتداخل فيها موسيقا الصخب الغربية، وتعلوا ضوضاء الحضارة تلوثها السمعي ـ والتعبير للكاتب تأكيداً لموقفه الرافض من تلك الحضارة المتمثلة ـ على حد تعبيره ـ في انطلاق سيارات وهدير ماكينات وأزيز طائرات وتشوش إذاعات وغيرها ..

ولأن محمد عطاف لم يفصح عن تفصيلات مأساته ، وإنما اكتفى بإشارات وتلميحات ، فإن الفنان يتصور الحدث ، يتخيله ، يحاول التعبير عن مكنونات النفس ، والتنامي الدرامي ، منذ اللحظات العادية ، إلى لحظات المأساة ..

محمد عطاف يحلم بصباحات متفتحة ، وبالانعتاق من ربقة أحزان الوطن، فالهم ليس ذاتياً فحسب ، لكنه هم الذات مضفرا بهم الجماعة ، مختلطا به ، متوحدا معه ..

ما كنت أريد سوى أحلام عادية وجميلة ، كلها تدور حول الخبث والطمأنينة ، ليس أكثر . تلك طموحاتي ما كانت تحوجي للصعود إلى الأرض المنخفضة . لو أني من غير العالم الثالث لو أني لست ضعيفا يحلم ، من أبناء الدول النامية على أذنيها لا يشغلها غير الحلم"..

وفي خلفية المشهد ، يتضح باعث مهم ، ولعلي أعتبره الباعث الأهم، لأنه الحد الفاصل بين الهجرة من الوطن والحنين إليه ، التقدم والتخلف ، معالجة الواقع بمسكنات وقتية ومحاولات مجاوزته بالعلم والتكنولوجيا والأخذ بأسباب العصر . كان محمد عطاف يجد في العلم خلاصاً لكل ما تعنيه مليكة وطنه ، لكنه يعاني المؤامرات الصغيرة والرفض والإحباط ، بالإضافة ـ كما قلنا ـ إلى الظروف الأسرية القاسية " كانت أملاً في أن اصبح من عتقاء العلم ، أمر إلى الإنسانية من فوق قنطرة العلم ، لكنهم تآمروا علي " ..

وكان يقول عطاف في مونودراميته، فلم تكن الأوضاع في مليكة وحدها هي الدافع لأن يهاجر إلى الأرض المنخفضة ـ هولندا ـ لقد هاجر بحثا عن الحاضر الأفضل لأسرته ، وله ، والمستقبل الأسعد لأبنائه وحفدته ، ثمة الأم المسكينة التي تنتظر عونه المادي، " حتى تعبر بالعائلة إلى شط النور الخافت، تخرجهم من قبو الظلمات "..، و " أب ينتظر الحوالة التالية ليصلح بها سقف البيت الذي يبكي صقيع أهله في الشتاء ، وأخت تنتظر واقعاً رفيعاً يمد إليها يده بملابس أنيقة في العيد القادم".

الظروف المادية القاسية إذن هي الدافع لأن يبدأ محمد عطاف رحلة الأمل والمعاناة . " الشوك في العالم الثالث ، وسراب الهدف أيضاً . أما في الأرض المنخفضة ، فالزهر بلا شوك ، والمتعة دانية تهصرها الرغبة " . ومحمد عطاف ليس شخصا عاديا إنه شاعر له روحه الرقيقة،ومشاعره وأحاسيسه الجياشة ..

لكن ما يحصل عليه العربي في بلده لا يعينه على العمل في بلد الغربة . إن

عليه أن يبدأ التعلم من جديد ..

ويزداد الخرق تمزقاً و اتساعاً ، حين يقرر محمد عطاف أن يعود إلى وطنه، فترفض عائلته التي تحتاج إلى عونه المادي. تهمل التعرف إلى معاناته مقابلاً لمعاناتها وحاجتها إلى ما يتيح لها مجاوزة الظروف المادية القاسية ..

النظرة الاستشرافية ، لا تجد الحل في مجرد التعرف إلى جوانب التخلف في حياتنا ، ولا إلى محاولة التغيير والإضافة والتطوير . بل إنها تجد تحقيق ذلك أملاً صعب التحقيق في المستقبل " وحتى تنير ، يمضي جيلنا منطفئاً " . نظرة ـ كما ترى ـ لا تخلو من تشاؤم ، لكنها لا تخلو من موضوعية كذلك . هذه هي صورة الواقع العربي بكل أبعاده ، ببانوراميته التي ترفض ألوان الوهم وظلاله .. لكن الفنان يهبنا الأمل ـ في نهاية مونودراميته ـ بأن يرفض عطاف كل الضغوط ، سواء من أسرته ، أم من ظروف بلده ، أم من رفض المجتمع الذي يقيم فيه .. يرفض ذلك كله ويقرر العودة إلى الوطن .

و هو ليس وطنا محدداً ، إنه أي موقع في خارطة الوطن العربي . قد يكون المغرب ، تعليمات البداية تشي بذلك ـ وقد يكون مصر ، أو أي بلد عربي آخر ، لكن الهم العربي الواحد يتخلل الصوت الذي يخاطب به عطاف نفسه ، وعائلته ، وأسرته ، وكل الدنيا ..

طبعي أن النص المسرحي المكتوب ـ كما أشرنا ـ لا يتحقق وجوده إلا في نفس القارئ . في وعيه وإدراكه وخياله..

وإذا كان تعدد الأصوات يعمق من درامية الحدث ، باختلاف الآراء ووجهات النظر وتباين الروايات، فإن مونودراما علاء الدين رمضان جاوزت الاستاتيكية بتحول الصوت إلى شخصية مقابلة، وبتناوب لمشاعل في نفس البطل، كالإحساس بالمطاردة ، والغربة في المجتمع الأجنبي، فضلاً عن اتجاه البطل بحواره إلى مليكة، بلده الذي قدم منه إلى الأرض المنخفضة..

إن المونودراما تعتمد على محاولة استبطان الشخصية ، شخصية محمد عطاف ، بتركها تتحدث مع صوتها ، مع نفسها ، وتبين لنا عما يدور داخل النفس الإنسانية من خلال الوعي الباطن . ولأن المونودراما تعتمد على الصوت الواحد في الدرجة الأولى ، فقد أفاد الفنان من تداخل الفنون، كتداعي الذكريات والفلاش باك والتقطيع وغيرها من تقنيات الوسائط الأدبية المختلفة . بل إن الشخصية المحاورة ، المقابلة لشخصية محمد عطاف هي محمد عطاف نفسه ، أو صوت محمد عطاف ..

ديناميـة الحـوار ـ أو هذا هو المفروض ـ تبين في تباين الآراء ، وبين الشخصية وصوتها ، وإن ذوت الدينامية في بعض المواقف بتحول الرأي الواحد، رأي الشخصية وصوتها ، إلى ما يشبه التقطيع السردي ، ليعبر عن حالة نفسية واحدة ..

وفيما عدا بعض المفردات والعبارات الكليشيهية، فإن الحوار يتسم بالبساطة والصدق وعدم الافتعال، قيمة الحوار الدرامي في أنه يبدو مما نتبادله في أحاديثنا، مفردات حواراتنا العامية وتعبيراتها ، لكنها ـ في الحقيقة ـ ليست كذلك، أخضعها الفنان للاختيار والصقل ، وإن لم يسلبها إيهام التلقائية ..

أما " الخروج إلى القلعة " فهي مسرحية شعرية في خمسة مشاهد ، ثمة قصة حب ، وقلعة تزخر بالمؤامرات والفتن والتحدي ، والسلطان ، والعسكر ، والجواري ، والأسوار ، وقضبان السجن .. ، وجميعها مفردات تصلح قواماً لمسرحية يتخللها الصراع من ألفها إلى يائها ، لكن السكونية تتخلل مسرحية علاء الدين رمضان ، نتيجة لغلبة الأسطر الشعرية من حيث هي شعر ، على الحوار المسرحي من حيث ضرورته للمشهد المسرحي وللدراما المسرحية .

بالإضافة إلى الحركة، فإن الحوار هو البعد الأهم في الإبداع المسرحي، إنه العنصر الفاعل في صياغة الدراما، قد يقلل الروائي الحوار في روايته، قد يستغني عنه تماماً، لكن المسرحية تقوم على الحوار بصورة مطلقة، إنه هو الذي يقدم الشخصيات والمكان والأحداث والتصاعد الدرامي، وكل ما يصنع المسرحية .

الحوار في المسرحية لا يهدف إلى حكاية المحادثة ، وإنما هدفه هو توصيل الجوهر . . وكما يقول هرمان هولد فإن غرض الحوار ليس هو أن يحكي المحادثة حكاية طبيعية ، بل أن يقدم في ثوب المحادثة ما لا يوجد في المحادثة ، فيكون مسلياً حيث المحادثة مملة ، مقتصداً حيث المحادثة مضيعة ، بيِّناً واضحاً حيث المحادثة متمتمة أو غامضة ،والطريقة هي بالطبع طريقة كل فن : طريقة التعميق بالنظام والترتيب الذين يقومان على الاختيار .

وإذا كانت الرواية تعتمد على السرد والحوار والتقنية . فإن المسرحية تعتمد على الحوار والحركة ، وإن قام العديد من المسرحيات على الحركة الصامتة (البانتومايم) .

في " الخروج إلى القلعة " اجتذب الشعر علاء الدين رمضان بأكثر مما اجتذبته الدراما . اجتذبته المفردة والموسيقا وتواصل الأسطر الشعرية ، بل إن الحوار تحول ـ في بعض المواقف ـ إلى متتاليات من قصائد الشعر ، بما قلل من الدينامية التي يفترض أنها تتحقق في العمل الدرامي ..

أثق في موهبة علاء الدين رمضان ، وأراهن عليها ، وأثق ـ في الوقت نفسه ـ أن أعماله المسرحية التالية ـ لا بد أن تكون له أعمال تالية ـ ستزاوج بين الشعر والمسرح بحيث تشكل إضافة ـ مطلوبة ـ إلى مسرحنا الشعري المعاصر .

القاهرة : " محمد جبريل "

مسرحية محمد عطاف

تأليف : علاء الدين رمضان
قراءة مسرحية بقلم الكاتبة المغربية
فاطمة الزهراء التوزاني

قرأت مسرحيتك الجميلة "محمد عطاف" إنّه فعلاً نص جميل جداً ؛ مليء بالصور والرموز التي تكشف عن الواقع الحقيقي المؤلم للإنسان بشكل عام .

ينكشف ستار المسرح ليزيل ستار الوحدة عن ذات إنسانية ضائعة في دروب زمن أخرس يأبى إلا إن يميط عن أبشع صوره. وبين حقيقة طعمها كطعم الحنظل وحلم وردي يتراءى كالسراب في الأراضي المنخفضة يتخبّط عطاف غير آبه بالحواجز الوهمية التي تفصل بين الجبل والسهل،فكلاهما خاضعان لقوى الطبيعة. رغم هذا،يظل هواء الجبل أحلى وأجمل من خضرة السهل الذي مهما امتد يظل بحاجة ملحة إلى خشونة الجبل الحنونة والكفيلة بمسح دموع السهل والتصدي للرياح العاتية. فمتى ينتهي حلمك يا عطاف وتصعد الجبل من جديد؟ أنسيت بُول؟ أنسيت كيف صنع من الجبل أجمل وأروع جنّة من أجل فرجيني، مدام دي لاتور، ومرغريت؟ لقد رفض بول روعة الأراضي المنخفضة وأثبت أنّه بالإمكان تحويل أحجار الجبل إلى روضة غنّاء؟ ألم يمسح الجبل دموع كل من مدام دي لاتور ومارغريت ودموع كل بائس قادم من الأراضي المنخفضة، بعد أن أسلمهما رحيق ورود السهل إلى ظلمة الضياع. إنّها روعة الجبل تناديك يا عطاف، فمتى تعود.

صحيح أنّهما واقعين مختلفين فعطّاف ليس هو بول، وعلاء الدين رمضان ليس هو برناردين دي سان بيير؛ صحيح أنّ جزيرة موريس ليست هي المغرب ولا باريس هي هولندا لكن الدوافع التي كانت وراء كل من رمضان وسان بيير هي نفسها وإن اختلفت تمظهراتها. لقد نقل رمضان معاناة عطّاف بنفس الطريقة التي صوّر بها سان بيير رحلة بول. إنها معاناة واحدة: نفس الواقع، نفس الحلم، نفس العوائق وإن اختلف عنصر الزمان والمكان. فالإنسان الفرنسي في القرن الثامن عشر لا يختلف في طموحه وأحلامه عن الإنسان المغربي في الألفية الثالثة؛ إنّه نفس الحلم: الانعتاق من بؤرة ضيق ذات اليد وتحقيق مستوى معيشي لا بأس به يكفي كليهما مذلة الحاجة والسؤال.

لذا يمكنك يا عطّاف أن تفعل كما فعل بول. كل ما تحتاج إليه هو الايمان بنفسك، بقدرتك على الاختيار. هذا، كما وأنّه قد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر. ستجد يا عطاف في الجبل ما لا يمكن الحصول عليه في السهل. هيّا استيقظ يا عطاف والتقط الشمس كي تضعها فوق رأسك "ليصحو العالم"، ويصحو سكان الجبل ويروك صاعدا إلى الجبل كي يصعدوا معك؛ فهناك حلمك الحقيقي، وما أحلى حلم الوطن يا عطاف، ما أحلاه.

فاطمة الزهراء التوزاني

الرباط، 12 من فبراير 2002

السيرة الذاتية للكاتب علاء الدين رمضان

علاء الدين رمضان السيد مرسي
مدرس الأدب والنقد بالتعليم الثانوي
حاصل على دبلومي الدراسات العليا والبحوث
(الأدب العربي القديم / تراث)؛و(الأدب العربي الحديث) ؛ وحصل على درجة الماجستير في الأدب الحديث في موضوع (أثر البيئة والمتغيرات الاجتماعية في أدب يحيى حقي)؛ يعمل شاعراً وباحثاً حـراً ولد في ساحل مدينة طهطا ، يوم الاثنين 12 من يناير عام 1970م.

الأعمال المنشورة

*المتواليات (شعر)
(القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993)
*الخطو على مدارج المدينة القديمة (شعر)
(دمشق : اتحاد الكتاب العرب، 1993)
*غابة الدندنة (شعر)
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة 1995)
*ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث (دراسة بحثية نقدية)
(دمشق : ط1، اتحاد الكتاب العرب ، 1996)
*ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث (دراسة بحثية نقدية)
(طهطا : ط 2 ، نادي االأدب بقصر ثقافة طهطا ، 2000)
*اللحن في العربية بين تأريخ النشأة ومحاولات الإصلاح (دراسة)
مجلة الدارة (مجلة فصلية محكمة تصدر عن : دارة الملك عبد العزيز للبحوث بالرياض، السعودية) العدد رقم : 4 ، السنة19 ، إصدار يناير مارس 1994
*الشعر اللهجي المعاصر في الوطن العربي
(الرياض : مجلة الحرس الوطني ، عدة أعداد ، 1992 – 2000)
*نقد البنية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني (دراسة بحثية)
كتاب علامات في النقد (جدة : النادي الأدبي الثقافي بجدة ، مارس1997)
* أثر البيئة والمتغيرات الاجتماعية في أدب يحيى حقي (دراسة بحثية)
(أسيوط : طبعة خاصة +طبعة جامعية)
* سمكة ظامئة (نصان مسرحيان)
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003)
* * جوائز
* صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء للجاحظ(767 – 869)
(القاهرة : جائزة المجلس الأعلى للثقافة ، 2000)

* نقد البنية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني (القاهرة : جائزة المجلس الأعلى للثقافة ، 2001)
* ثورة يوليو المصرية بين العصا والمهماز .. أدبيات ضد الثورة (القاهرة : جائزة المجلس الأعلى للثقافة ، 2002م) .

مخطوطات

*صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء للجاحظ (767 – 869) / (2000)
*نقد البنية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني (2001)
*العصا والمهماز.. أدبيات ضد الثورة (2002)
* قصائد ليست عاطفية تماماً (شعر لهجي / 2001)
* أيها العازف (شعر/ 2003)
* مائة أغنية وحيدة .. أوجورا هياكونين إيزشو (شعر ودراسة وترجمة/ 2003)
* مصايب الشيخ مصايب (حكايات مرحة : جمع ميداني وتحليل/ 2003)
* قصائد ليست عاطفية تماماً (شعر لهجي / 2003)

المؤتمرات

*مهرجان الجنادرية (السعودية ؛ الرياض : الدورة 13 ، مارس 1997م) .
*مؤتمر محمود حسن إسماعيل الأدبي (أسيوط : عدة دورات)
*مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم (أقاليم مصر : عدة دورات)
*مؤتمر الطهطاوي الأدبي (طهطا : الدورات كلها)
*المؤتمر الأدبي الأول لإقليم وسط وجنوب الصعيد الثقافي الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة (سوهاج :16 - 18 مايو 2000)
*(ورقة العمل : الحركة الشعرية في سوهاج)
*المؤتمر الأدبي الثاني لإقليم وسط وجنوب الصعيد الثقافي الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة (المنيا 21 - 19: مارس2001)
*المؤتمر الأدبي الثالث لإقليم وسط وجنوب الصعيد الثقافي الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة (المنيا 1 - 28: مارس / أبريل2002)
*(ورقة العمل : المكانان الجمالي والإبدالي في قصص من الصعيد)
*المؤتمر الأدبي الرابع لإقليم وسط وجنوب الصعيد الثقافي الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة (أسيوط :4 - 6 مايو 2003)
*(ورقة العمل : الإبداع اللهجي .. معوقاته وقضاياه)

بيانات الإتصال :

* العنوان البريدي : 1 شارع مرسي بالجيارين – ساحل طهطا 82623 ؛ سوهاج – مصر
* البريد الإلكتروني : alauddineg@yahoo.com
* الموقع على شبكة الإنترنت : http://www.come.to/alauddin